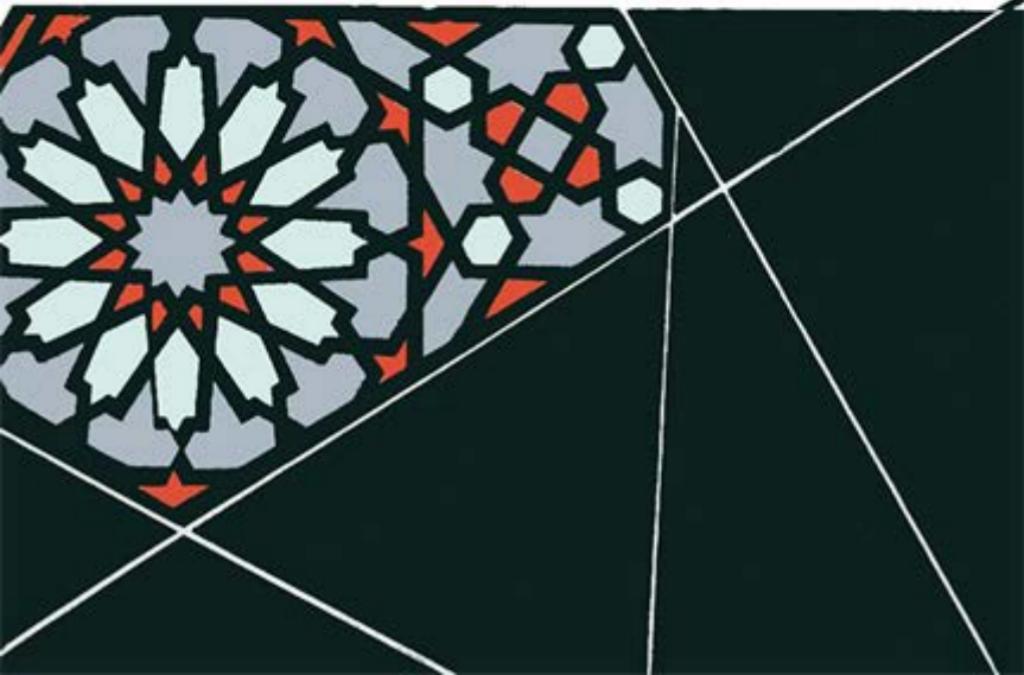


أداء وموافق تربوية ونفسية طائفة  
في التراث العربي الإسلامي

ط. نور الدين جعفر



دار الرشيد للنشر

١٩٨٢



الجمهورية العراقية  
منشورات وزارة الثقافة والاعلام  
سلسلة دراسات  
( ٣٤ )



مكتبة لسان العرب

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

[lisanerab.com](http://lisanerab.com) رابط بديل

آراء و مواقف تربوية و نفسية صائبة  
في التراث العربي الإسلامي

الدكتور نوري جعفر



## كلمة تمهيدية

ذكر الجاحظ في احدى لمحاته ومبالغاته الطريفة - «أَنَّهُ لِيْسُ فِي الْأَرْضِ كَلَامٌ» هو أَمْتَحُ وَلَا آقَ وَلَا أَلَذٌ» في الاسماع وَلَا أَشَدٌ» اتصالاً بالعقل السليمة وَلَا افتق للسان وَلَا أجود تقويمًا للبيان من طبول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء والبلغاء » .

وحيث الأعراب الذي أشار اليه الجاحظ منثور على هيئة شذرات هنا وهناك في كتب الأدب العربي القديمة التي أتيحت لي فرصة الاستمتاع بقراءتها لاتهامي الضجر الذي يعتريني بين حين وآخر من قراءة كتب التربية وعلم النفس . وقد وجدت في كتب الأدب العربي القديمة بالإضافة إلى المتعة الفنية الجمالية واللغوية ثروة تاريخية وتربوية ونفسية تعمذر الاحاطة بها . وانه لمن سوء الحظ ان لا تحظى مطالعة الأدب العربي الا بجزء يسير من وقتى الذي استأثرت بجمله قراءة ما يسمى اصطلاحا بالكتب المслكية أو المهنية . وهذا يذكرني بلاحظات طريفة أبدتها الفرزدق ، ابداها في احدى المناسبات على ما يقول الاصمعي :

قال الفرزدق – على ما ذكر الاصمعي – كنت في المجلس الذي أنشد  
فيه عَدِّي " بن الرَّقَاعَ كَلْمَتَهُ «عَرَفَ الدَّيَارَ تَوَهَّمَا فَارْتَادَهَا » وَجَرِير  
إِلَى جَانِبِي ٠ فَلَمَّا ابْتَدَأَ عَدِّي " بِالاِنْشَادِ قَلَّتْ لِجَرِيرِ بَسَّخَرَ : مَنْ " هَذَا  
الشَّامِي ؟ فَلَمَّا ذَكَرْنَا كَلَامَهُ يَئْسَنَا مِنْهُ ٠ فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ «تُزْجِي أَغْنَءَ كَانَ  
إِنْزَةً رَوْقَةً » وَعَدِي كَالْمُسْتَرِيعِ قَالَ جَرِيرٌ : أَمَا تَرَاهُ يَسْنَكُبُ فِيهَا مِثْلًا؟  
قَلَّتْ لِكَلْمَعَ اَنَّهُ يَقُولُ « قَلْمَمُ " أَصَابَ مِنَ الدَّوَّاهَةِ مِدَادَهَا » ٠ فَقَالَ عَدِي  
« قَلْمَمُ " أَصَابَ مِنَ الدَّوَّاهَةِ مِدَادَهَا » ٠ فَقَالَ جَرِيرٌ « أَكَانَ سَمِعَكَ مَخْبُواً  
بِصَدْرِهِ »؟ قَلَّتْ " اسْكَتْ " شَفَلَنِي سَبَّيْكَ عنْ جَيْدِ الْكَلَامِ » ٠ وَأَنَا أَقُولُ شَفَلَنِي  
عَلِمَ الدَّمَاغُ عَنْ جَيْدِ الْكَلَامِ ٠ وَإِنْ " كَنْتُ نَشَرْتُ «الأَصَالَةُ فِي شِعْرِ أَبِي الطَّيْبِ  
الْمُتَنبِّي » وَاتَّوْقَعَ أَنْ أَنْشِرَ قَرِيبًا «الْجَوَانِبُ السَايِكُولُوْجِيَّةُ فِي اِدَبِ الْجَاحِظِ »  
وَ «مَعَ الْحَرِيرِيِّ فِي مَقَامَتِهِ » وَ «سَاعَاتٌ مَعَ مَكْسِيمَ غُورَكِيِّ » وَهَذَا الْكِتَابُ  
الَّذِي هُوَ بَيْنَ يَدِيِّ الْقَارِئِ ٠ وَجَيْسِعُهَا مَحَاوِلَاتٍ أُولَى تَمَهَّدُ إِلَى مَحَاوِلَاتٍ  
أُخْرَى أَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَعْقَنَ وَأَوْفَى ٠

بغداد ١٠-١٩٨١

نوري جعفر

## الفصل الاول

### العواقب التربوية

- ١ -

أود أن أبين ابتداءً ان الآراء والمواقف التربوية والنفسية الصائبة التي تنطوي عليها هذه الدراسة الموجزة قد وردت في التراث العربي الاسلامي متفرقةً ومتباعدةً على وجه العموم وعرضيةً أحياناً أثناء البحث في قضايا تتعلق بالفلسفة والادب والطب وعلم الفلك . وهي كثيرة جداً تتعذر الاحاطة بها ولم يولها الباحثون - على ما نعلم - ما تستحقه من الدراسة .

ومع ذلك - وبالاضافة اليه - فقد ورد بعض تلك الآراء والمواقف التربوية والسايكلولوجية في حالات نادرة بشكل متببور ومسجّل بهيئة مستقلة عند بعض المعينين بشؤون التربية والتعليم وعلم النفس أيضاً من حيث ارتباطه بالتربية .

يضاف الى ذلك - ولا يقل أهمية عنه - ان التراث العربي الاسلامي مفعم بأمثلة كثيرة رائعة تتضمن آراءً ومواقف سياسية واجتماعية ذات مضمون تربوي بالغة الاهمية .

ان الآراء والمواضف التربوية والنفسية الصائبة التي تتصدى – في هذه الدراسة الموجزة – لابراز معالمها الكبرى [ دون تعليق في الاعم الاغلب لكونها لا تحتاج الى ذلك ] ينصب بعضها على طبيعة العملية التربوية ذاتها وينصب بعض آخر على المعلم نفسه ومكانته الفريدة في عملية التعليم وفي بناء الشخصية وتكون الخلق الفاضل الرصين وينصب بعض ثالث على الصلة الوثيقة بين المعلم والتلميذ وبموقع التلميذ نفسه في العملية التربوية نفسها ومنزلته الاجتماعية على وجه العموم .

أما الجانب النفسي فيرتبط أوثق الارتباط بتفسير طبيعة الحياة العقلية عند الإنسان في ضوء أحدث نظريات علم النفس المعاصر التي تنطلق من الدماغ باعتباره الأساس الجسدي [المادي : الفسلجي] لجميع قدرات الإنسان العقلية . وقد ركزنا اهتمامنا في هذا الجانب بالذات على ما ورد من ملاحظات صائبة في رسائل اخوان الصفا .

لقد لاحظنا – أثناء تتبعنا لهذا الموضوع الطريق القديم الجديد – البالغ الأهمية ان الاهتمام بشؤون التربية وعلم النفس وفي موقع المعلم في العملية التربوية لا يقتصر على المعينين بشؤون التعليم بمعناه المدرسي الشائع المعروف أو المعينين بالقضايا الفكرية النظرية عموماً وإنما هو يتعدى ذلك أو يتخطاه أيضاً فيشمل رجال السياسة والشخصيات الاجتماعية البارزة في المجتمع العربي الإسلامي ، من ذلك مثلاً أن عتبة بن أبي سفيان خطيب عبد الصمد مؤدب ولده بقوله : « ليكن أول ما تبدأ به من اصلاحك بيتي » اصلاحك نفسك فإنَّ أعينهم معمودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنَ والقبح عندهم ما استحبَتْ . علّهم كتاب الله ولا تذكرهم عليه فيملاوه ولا تترجم منه فيهجروه ٠٠٠ ثم رَوَّهم من الشعر أعمقه ومن الحديث أشرفه . ولا تُترجم من علم الى غيره حتى يحكموا ٠٠٠ فأنَّ ازدحام الكلام في السمع مظلة للفهم .

وعلمهم سير الحكمة وأخلاق الانبياء .. وكن لهم كالطبيب الذي لا ينجد بالدواء حتى يعرف الداء »

وأوصى هرون الرشيد علي بن الحسن مؤذب ولده الامين بقوله : « إنَّ أمير المؤمنين دفع اليك مهجة نفسه وثرة قلبه . فصيَّر يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة . فكُن له حيثُ وضعتكُ أمير المؤمنين . أقرئه القرآن وعرِّفه الأخبار ورَوَاه الاشعار وعلمه الشِّئون وبصْره بمواعِنِ الكلام وبَدَّنه . وامتنع من الضحك إلا في أوقاته . وخذْه في تعظيم بيْنِ هاشم اذا دخلوا عليه . وبرفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه . ولا تَمْرُنْ به ساعة إلا وأنت معنتم فيها فائنة تقىده ايها من غير أن تُحزنَ ذهنه . ولا تُتعنِّ في مسامحته فيستحلِي الفراغ ويألفه . وقوَّمه ما استطعت بالقرب والملائكة ، فأنَّ اباها فعليك بالشدة والغلظة » .

ونقل الرواية عن ابي محمد اليزيدي أله قال :

« كنت أؤدب المأمون وهو في حجر سعيد الجوهري . فأتيته يوماً وهو داخل . فوجَّهَتْ اليه بعض علمائه . فأبطنَ ثم وجَّهَتْ اليه آخر . فأبطنَ . فقلت لسعيد الجوهري : إنَّ هذا الفتى ربما تأخَّرَ وتشاغل بالبطالة . فقال : قوَّمه بالأدب . فلما خرج امرت بحمله وضربته تسعة دررَ . فيبينما هو بذلك عينيه من البكاء اذا أقبل الوزير جعفر بن يحيى فاستأذن على المأمون . فأخذ المأمون منديلاً فمسح عينيه وجمع ثيابه وقام الى فراشه وقد علية متربعاً ثم قال : يدخل جعفر . فدخل وقامت انا من المجلس ، وخفت ان يشكوني الى الوزير فالقى منه ما اكره . . . فلما همَّ جعفر بالحركة دعا بداعته وامر المأمون غلمانه فسعوا بين يديه . ثم سأله المأمون عني . . . وقال خذني بقيمة يومي هذا . . . فقلت : ايها الامير لقد خفت ان يشكوني الى جعفر . ولو فعلت ذلك لتنكِّر لي . فقال المأمون إِنَّا لَهُ مِنْ أَنْوَارٍ !! أتراني - يا ابا محمد - أطلِع الرشيد

في هذه ؟ فكيف جعفراً أطلمه على اني احتاج الى ادب !!! ينفر الله لك - خذ في امرك فقد خطر بيالك ما لا تراه ابدا ولو عدت في كل مرة »

وذكر الراغب الأصبهاني في محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ان ابا مريم مودّب الامين ضرب الامين يوما فخدش ذراعه . وعندما حان وقت الطعام تعمّد الامين ان يحرس عن ذراعه . فرأاه الرشيد . فسألة فقال : ضربني ابو مريم . فبعث الرشيد اليه ودعاه . فقال ابو مريم : فخست . فلما حضرت قال الرشيد : ياغلام وَضَّهْ . فسكنت . وجلست آكل . فقال الرشيد : ما بال محمد يشكوك ؟ قال ابو مريم : لقد غلبني خبأاً وعرامة . فقال الرشيد أقتله فلان يموت خير من ان يموق .

هذا طراز فريد في بابه من المواقف الدالة على مكانة المعلم الاجتماعية المرموقة . ويجري هذا المجرى ما حدث به محمد بن اسحق النديم . قال قرأت بخط ابي الطيّب ابن اخي الشافعي قال اشرف الرشيد على الكسائي - وهو لا يراه - فقام الكسائي ليبس نعله لحاجة يريدها . فابتدرها الامين والمأمون - وكان مئذبَهُما - فوضعها بين يديه . فقبل رؤوسهما وايديهما ثم اقسم عليهما الاية يعاودا . فلما جلس الرشيد مجلسه قال أي الناس أكرم خدما ؟ قال الكسائي : أمير المؤمنين أعز الله . قال الرشيد بل الكسائي يخدمه الامين والمأمون .

وهناك طراز اخر من المعلمين فريد في بابه ايضا . يشير الى العجد الفكري المضني الذي يبذل المعلم في تقويم لسان الطفل مثلاً وازالة اللثمة التي يظن كثيرون من الناس دون سند علمي انها حصيلة نقص فسلجي في اللسان .

ذكر الرواية عن ابي الفتح احمد بن علي بن هرون المنجّم قوله : « حدثني ابي قال : كنت - وانا صبي - لا أقيم الراء في كلامي واجعلها غنيا . وكانت سنتي آنذاك اربع سنتين : أقل او أكثر . فدخل ابو طالب

الْفَضْلُ بْنُ سَلَمَةَ أَوْ أَبُو بَكْرَ الدَّمَشِيقِيِّ إِلَى أَبِيهِ وَإِنَّا بِحُضُورِهِ فَتَكَلَّمُهُ  
بِشَيْءٍ فِيهِ رَآءٌ فَلَأَنْقَطَهُ فِيهَا فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا سَيِّدِي لِمَ تَدْعُ هَذَا  
الصَّبِيَّ يَتَكَلَّمُ هَكَذَا ؟ فَقَالَ أَبِيهِ : مَا أَصْنَعُ وَهُوَ الْمُتَشَفِّعُ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ - وَإِنَّا  
أَسْمَعْنَا مَا جَرِيَ وَاضْبَطْنَاهُ - أَنَّ اللَّشَّفَةَ عَادَةً سَوَّهُ تَسْبِقُ إِلَى الصَّبِيِّ أَوْ إِلَى  
مَا يَتَكَلَّمُ لِجَهَلِهِ بِتَحْقِيقِ الْأَلْفَاظِ . . . وَإِنَّا أَزَيلْنَا هَذَا عَنْهُ . . . وَلَا ارْضَى بِتَرْكِكَ  
لَهُ عَلَيْهِ . . . ثُمَّ قَالَ لِي أَخْرُجْ لِسَانِكَ . . . فَأَخْرَجْتُهُ . . . فَتَأْمَلْهُ . . . وَقَالَ : الْجَارِّهُ  
صَحِيحَهُ . . . قُتِلَ . . . يَا بَشَّئِي رَاءُ وَاجْعَلْ لِسَانِكَ فِي سَقْفِ حَطْكِكَ . . . فَقُلْتُ ذَلِكَ . . .  
فَلَمْ يَسْتَوِ لِي . . . فَمَا زَالَ يَرْفَقُ بِي تَارَةً وَيَخْتَنِّ أَخْرَى . . . وَيَنْقُلُ لِسَانِي مِنْ  
مَوْضِعِهِ إِلَى مَوْضِعِ فِي وَيَأْمُرُنِي أَنْ أَقُولَ الرَّاءَ فِيهِ . . . فَإِذَا لَمْ يَسْتَوِ لِي  
نَقْلُ لِسَانِي إِلَى مَوْضِعِ آخَرَ مِنْ فِي دَفَعَاتِ كَثِيرَةٍ . . . وَطَالُونِي بِلَفْظِ الرَّاءِ  
مِنْهُ . . . وَهَكَذَا حَتَّى مَرَنَ لِسَانِي وَذَهَبَتْ عَنِ الْمُتَشَفِّعَةِ » . . . أَنَّ هَذِهِ  
الْحَادِثَةَ الْطَّرِيفَةَ وَالْمَهِمَّةَ تَجْعَلُنَا - نَحْنُ الْمُعْلِمِينَ - مَطَالِبِنَا فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ  
يَبْذُلُ مَزِيدًا مِنَ الْجَهْدِ فِي عَمَلِنَا التَّرْبُوِيِّ .

## اراء فئة من المعنيين بشؤون التعليم

ابن سحنون

شرح محمد بن سحنون [ م ٨٧٠ - ٢٠٢ ] [ ٥ ٢٥٦ ] آراءه التربوية في رسالة عنوانها «آداب المعلمين» وذكر رأيه في واجب المعلم ازاء التلاميذ بصورة خاصة بقوله «ومن حسن رعايته لهم ان يكون بهم رفيقاً . واذا استأهل احدهم الضرب فاعلم ان الضرب من واحدة الى ثلاثة : فليستعمل اجتهاده لثلا يزيد في رتبه فوقها . وهذا هو ادبه<sup>(٤)</sup> » اذا فرط فتباقل من الوفاء للمعلم فتباطل في حفظه او اكثر من الخطأ في حزبه او في كتابة لوحه من نقص حروفه وسوء تهجيجه وقبح شكله وغلطه في نَقْطَه » ! وهذا يعني ان المعلم يجب عليه دائماً ان يكون اميل الى الرأفة بالتلميذ وأن يساعده على انجاز واجباته على الوجه المطلوب وان يتبعده عن اللجوء الى العقاب البدني إلَّا عند الضرورة القصوى وألَّا يتجاوز الضرب ثلاثة ضربات بالعصا خفيفة غير مؤذية عندما يتلاعنه التلميذ عن اداء واجباته التعليمية او لا يكتثر بحفظ ما طلب اليه حفظه او أكثر من خطته في الجزء المخصص من المصحف الشريف او كان خطه رديئاً .

القبسي :

ويجري هذا المجرى ما ذكره القبسي [٣٢٤ - ٤٠٣] [١٠١٢] - ١٠٨٩ م ] في بحثه التربوي الموسوم « الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والتعلمين » : او استعراض العلاقة - بالتعبير الحديث - بين المعلمين والتلاميذ ٠

ابن جماعة :

كتب ابن جماعة [٦٣٩ - ٧٣٣ هـ] في كتابه : « تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم » بقصد العلاقة بين المعلم والتلاميذ ما نصه : « ان يلازم - المعلم - الانصاف في بحثه وخطابه وان يسمع السؤال من مورده على وجهه وان كان صغيراً ٠ ولا يترفع عن سمعه فيحرم الفائدة ٠ واذا سُئل المعلم ما لم يعلمه قال لا اعلمه ولا ادرى ٠ واعلم ان قول المسؤول لا ادرى لا يضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة ٠ بل يرفعه » ٠ ومعنى هذه العبارات ان يتصرف المعلم بالأنصاف ويسامل جميع التلاميذ على قدم المساواة دون تمييز الا من حيث الاهتمام بالدراسة ٠ وان يسمح لهم بالقاء الاستئلة والاستفسارات فيما كانت ساذجة [بنظره] وان يكون على اتم استعداد لاظهار عدم معرفته بالامور التي لا يعرفها ، وذكر ابن جماعة أيضاً بقصد موقف المعلم من التلاميذ البارزين أو المتفوقين والمخلفين في دراستهم ما يلي :

« فن رأء مصبياً في الجواب ولم يُخفِ عليه شدة الاعجاب شكرَه وأثنى عليه ٠ ومن رأء مقصراً ولم يُخفِ تدوره عَكْفَه على قصوره وحرَّضَه على علو الهمة ونيل المنزلة في طلب العلم ٠٠ وعلى المعلم أيضاً الا يُظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده في مودعة أو اعتناء فان ذلك ربما يوحش منه الصدور وينفر الطالب » ٠ معنى هذا - بعبارة أخرى - أن يعطي المعلم كل ذي حق حقه فيمدح المصيب والمجد ويرجر المقصَر ويحثه علىبذل مزيد من الجهد ٠

وكتب ابن جماعة أيضاً بصدق واجبات التلميذ أزاء معلمه العبارات التالية :  
« ولا ينبغي للطالب أن يكرر سؤال ما لا يعلمه ولا استفهام ما يفهمه فانه  
يضيع الوقت وربما يضجر المدرس ، ويجب ألا يسبق المدرس الى شرح  
مسألة او جواب سؤال منه او من غيره ولا يسابقه فيه ولا يظهر معرفته به او  
ادراكه قبل الشيخ . . . . . وينبغي ألا يقطع على الشيخ كلامه . . . . . وأن يكون  
ذهنه حاضراً في كل وقت بحيث اذا أسره بشيء او سأله عن شيء اشار اليه ولم  
يبحوج الى اعادته ثانية » . . . . . معنى هذه العبارات الطريفة والعميقة الفحوى  
ـ بلغة التربية الحديثة ـ ان يصنفي التلميذ للمدرس ولا يضيع الوقت بتوجيهه  
اسئلة هو عارف باجابتها سلفاً ولا يسبق المعلم الى توضيح او شرح قضية  
يعرفها ولا يجب بدل المعلم على أي استفسار يحصل داخل الصفة ولا يقاطع  
المعلم أثناء الدرس وان يركز اهتمامه في الدرس منذ بدايته حتى نهايته ولا يظهر  
معرفته للمعلم حتى وان كانت القضية التي يبحثها المعلم مألوفة لديه او ليست  
بالجديدة عليه . . . . . وهذه صفة من صفات السلف الصالح جداً لو اقتدينا بها في  
حياتنا المهنية والعلمية ، وتحضرنا ـ في هذه المناسبة ـ ملاحظات طريفة وبالغة  
الأهمية من الناحية التربوية أشار اليها عطاء بن أبي رياح مفتى أهل مكة  
ومحدثهم بقوله : « إِنَّمَا أَلْسُونَ الْحَدِيثِ مِنَ الرَّجُلِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا فَأَرَيُهُ مِنْ  
نَفْسِي أَنِّي لَا أَحْسَنُ مِنْهُ شَيْئاً . . . . . وَإِنَّ الشَّابَ لِيَتَحدَّثُ بِحَدِيثٍ فَأَسْمِعْ لَهُ كَائِنَيْ  
لَمْ أَسْمَعْهُ . . . . . وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُولَدْ » . . . . .

### الفざالى :

شرح الفزالى ( ٤٥٠ - ٥٠٧ هـ ) آراءه التربوية في رسالة عنوانها  
« أيها الولد » بعث بها الى أحد طلابه مجيناً فيها عن أسئلة كثيرة وجهها اليه  
ورجاه فيها اذ يكتب له رسالة تلازمه طوال حياته . . . . . فكتب الفزالى رسالة  
مطولة ورد فيها ما يلي : « أيها الولد : من جملة ما نصح به رسول الله صلى

الله عليه وسلم قوله : علامه إعراض الله عن المبد اشتغاله بما لا يعنيه فان أمراء ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له الله لجدير أن تطول حسرته ٠٠٠ ومن جاوز الأربعين ولم يغلب خيره على شره فليجهز الى النار ٠٠

أيها الولد : النصيحة سهلة والشكل قبولها لأنها في مذاق متبع الموى مر ٠٠٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذاباً يوم القيمة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه ٠٠٠ وقال تعالى : وان ليس للانسان إلا ما سعى ٠٠٠ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ٠٠٠

أيها الولد : كم من ليالٍ أحياستها بتكرار العلم ومطالعة الكتب وحررت نفسك من النوم ؟ لا أعلم ما كان الباعث فيه . إنْ كانت نِيَّتُك نيل عرض الدنيا أو جذب حطامها وتحصيل مناصبها وأنباءها على القرآن فويل لك ثم ويل ٠٠ وان كان قصدك فيه احياء شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وتهذيب اخلاقك فظوبى لك ثم طوبى لك ٠٠٠

أيها الولد : العلم بلا عمل جنون . والعمل بغیر علم لا يكون ٠٠٠ اني رأيت بعض الخلق يظن شرفه وعزه في كثرة الاقوام والعشائر فاغتسل بهم ، وزعم آخرون أنه في كثرة الاموال وكثرة الاولاد فافتخرروا بها . وحسب بعضهم العز والشرف في غصب أموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم . واعتقدت طائفة انه في اخلاف المال وتبذيره . وتأملت قوله تعالى : ان أكرمكم عند الله اتقاكم . فاخترت التقوى ٠٠٠

أيها الولد : اعلم انه ينبغي للمتأدّب المتعلّم شيخ مرشد " مرّب يخرج أخلاق السوء منه بتربيته ويجعل مكانها خلقاً حسناً . ومعنى التربية يشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الاجنبية من بين الزرع » .

ابن خلدون :

كتب ابن خلدون [٧٣٢ - ٨٠٨ هـ] في مقدمته ما يلي معتبراً عن آرائه التربوية : « ان الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيواناته من الحس والحركة والذاء والسكن وغير ذلك . وانما تسيز عنها بالفکر الذي يهتدي به تحصيل معاشه والتعاون عليه مع ابناء جنسه ..»

وعن هذا الفکر نشأت العلوم والصناعات . ثم لاجل هذا الفکر وما عليه الانسان في تحصيل ما تستوعبه الطباع فيكون الفکر راغباً في تحصيل ما ليس عنده من الادراکات فيرجع الى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو ادراك .. فقد تبيّن من ان العلم والتعليم طبيعي في البشر .. واعلم ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتدالونها في الامصار تحصيلاً وتعلیماً هي على صنفين : صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره ، وصنف نقلی يأخذه عنمن وضعه .. واعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيداً اذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً ، تلقى عليه اولاً مسائل في كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ، ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده .. ثم يرجع المعلم بالتلميذ ثانية الى الفن فيرفعه عن تلك المزللة الى رتبة أعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويدرك له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى ان يتهمي الى اخر الفن . ثم يرجع المعلم بالتلميذ ولا يترك عويساً او مبهمماً ولا مغلقاً إلا وضنه وفتح له مقفله .. وهذا هو وجہ التعليم المفيد وهو يحصل – كما رأيت – في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك » .

معنى ذلك – بلغة التربية المعاصرة – ان على المعلم ان ينتقل بالطالب المبتديء بشكل تدريجي من السهل الى الصعب فالاصعب حسب مستوى ثقافته وان يعيد له النقاط المبهمة او الغامضة والصعبة في كل موضوع وينقله

رويدا رويدا الى القضايا التعليمية المعاصرة في كل موضوع وبين له الآراء المتعددة والمختلفة ويفسح له مجال المناقشة .

### المأوردي :

وضح المأوردي [ ٩٩١ - ١٠٣١ م ] آراءه التربوية في كتابه « ادب الدنيا والدين » . وهذه فقرات تحمل بعض تلك الآراء : « ربما امتنع الانسان عن طلب العلم لكبر سنّه ٠٠٠ وهذا من خداع الجهل وغرور الكسل ٠٠٠ ولأن يكون المرء شيخاً متعلماً اولى من أن يكون شيخاً جاهلاً » . ان هذه الفقرة تحدث على مواصلة الدراسة والتتابع بصرف النظر عن كبر السن . وهذا المبدأ التربوي مستمد في الاصل من الحديث النبوى الشريف « اطلب العلم من المهد الى اللحد » .

لقد أصاب المأوردي في ملاحظاته القيمة الآتف ذكرها . وأصاب أيضاً في استشهاده بالحادية الطريقة التالية التي مفادها ان بعض الحكماء رأى شيخاً يتوق الى طلب العلم لكنه يخجل لكبر سنّه . فقال له الحكيم « أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنت في أوله ؟ » وهذا يذكرنا بموقف طريف للمؤمنون أزاء عمه ابراهيم بن المهدى . فقد ذكر الرواة ان ابراهيم بن المهدى دخل على المؤمنون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه . فقال له المؤمنون : يا عم ما عندك فيما يقول هؤلاء ؟ فقال ابراهيم : يا امير المؤمنين شغلونا في الصفر واشتغلنا في الكبر ٠٠٠ فقال المؤمنون لم لا تعلمه اليوم ؟ فقال ابراهيم : أيحسن بي ثلي طلب العلم مع كبر سنه ؟ فقال المؤمنون : نعم . والله لأن تموت طالباً للعلم خير من أن تعيش قائماً بالجهل . فقال ابراهيم والى متى يحسن بي طلب العلم ؟ قال المؤمنون ما حَسِنْتُ بك الحياة .

ثم يسترسل المأوردي في عرض قضايا تربية أخرى باللغة الامامية من وجهة النظر التربوية المعاصرة وبخاصة ما يتصل منها بضرورة شرح معانى

الالفاظ والمصطلحات التي ترد في الدرس لا مجرد الاكتفاء بترديد الالفاظ دون استيعاب لمعناها . فقال « وان لم يفهم التلميذ معاني ما سمع فعلى المعلم الكشف عن السبب الذي حال دون ذلك ليعلم العلة في تغدر فهمها فانه بمعرفته اسباب الاشياء وعللها يصل المعلم الى تلافي ما شد واصلاح ما فسد . ولا يخلو السبب المانع في ذلك من أن يكون واحدا من ثلاثة ٠٠ اما أن يكون علة في الكلام المترجم عنها . واما أن يكون علة في المعنى المستودع فيها، واما أن يكون علة في السامع المستخرج ٠

وهذا يعني ان الطالب عندما لا يستوعب فكرة من الافكار التربوية او العلمية فان ذلك مرده — بنظر الماوردي — اما الى كون الكلمة عویصة المعنى بالنسبة له او تكون المعنى نفسه صعبا على وجه العموم او لانه يفسرها على غير حقيقتها . فلابد — والحالة هذه — من قيام المعلم بشرح وافٍ لمعنى الالفاظ والمصطلحات التي يعبر بها عن محتوى مادة الدرس للتلاميذ .

وبصدق مزايا المعلم المرغوب فيها بنظر الماوردي يسكننا أن نشهد بالفقرات التالية : « فأمّا ما يجب أن يكون عليه العلماء من الأخلاق التي هي بهم أليق ولهم ألزم : فالتواضع ومحاجنة العجب لأن التواضع عطوف والعجب مُتّنّع ، وهو بكل أحد قبيح وبالعلماء أقبح لأن الناس بهم يقدون . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تعلّموا العلم وتعلّموا مع العلم السكينة والعلم ، وتواضعوا لمن تعلّمون منه فيتواضع لكم من تعلّموه ٠

اخوان الصفا :

وردت في رسائل اخوان الصفا الملاحظات التالية التي تحمل مجمل آرائهم التربوية : بصدق رعاية الحامل حفظاً لصحتها وصحة الجنين [ وهو ما أخذت به الدول المتقدمة المعاصرة — وردت العبارات الشيقية الآتية : « قد تبين مما ذكرناه ان مكث الجنين في الرَّحِيم تسعة أشهر ائمّا لكي تتم البنية

في هذه الدنيا . . وقد أوصى الأطباء الحوامل من النساء بالرفق بأنفسهن في حر كهنن وتصرفاتهن باعتدال وبوسائل بلا افراط ولا تقصير كيما يسلم الجنين من الآفات المارضة هناك ويخرج الطفل سالماً إلى هذه الدنيا » . وورد بصدق اثر البيئة في نسوة الحياة المقلية عند الفرد منذ الطفولة ما يلي « اعلم يا أخي — أيدك الله وإيانا بروح منه — أنَّ مثل افكار النفوس قبل أن يحصل فيها علم من العلوم واعتقاد من الآراء كمثل ورق نقى لم يكتب فيه شيء . فإذا كُتب فيه شيء — حقاً أو باطلًا — فقد شغل المكان وتمَّ أن يُكتب فيه شيء آخر . ويصعب حكث ومحوه . فهكذا حكم افكار النفوس . . . . فإذا كان الامر كذلك فيبني لك — أيها الاخ — ان لا تشغَل بإصلاح المشايخ الهرمة الذين اعتقدوا من الصبا آراءً فاسدة وعادات رديئة واحلاقاً وحشية، فإنهم يتبعونك ثم لا يتعلمون . وان صلعوا قليلاً فلا يفلحون . ولكن عليك بالشباب السالبي الصدور الراغبين في الآداب المبتدئين بالنظر في العلوم . واعلم ان كل نبي بعثه الله فأول من كذبه مشايخ قومه » .

وحول القدوة الحسنة والاثر العريق الذي تركه في سلوك الطفل تصرفات المشرفين على تربيته في الاسرة وخارجها وحول امعان الفكر في مواد الدراسة ومبدأ التعلم بالعمل او بالمارسة والتطبيق كتب اخوان الصنا ما يلي: « واعلم يا أخي — أيدك الله وإيانا بروح منه — بأن العادات الجاربة بالمداومة فإنها تقوّي الاخلاق المساكلة لها . كما ان النظر في العلوم والمداومة على البحث والدرس لها والمذاكرة فيها تقوّي الحدق بها والرسوخ فيها . وهكذا وهكذا المداومة على استعمال الصنائع تقوّي الحدق والاستاذية فيها . وهكذا جميع الاخلاق والسمجايا . والمثال في ذلك ان كثيراً من الصبيان اذا نشأوا مع الشجعان والفرسان وأصحاب السلاح وتربيوا معهم تَطَّعنوا بأخلاقهم وصاروا مثلكم . وعلى هذا القياس يجري حكم سائر الاخلاق والسمجايا التي ينطبع عليها الصبيان منذ الصغر بأخلاق الآباء والامهات

والاخوة والاخوات والاتراب والاصدقاء والمعلمين والاستاذين المخاطلين لهم في تصارييف أحوالهم .٠٠٠ وعلى هذا القياس الآراء والمذاهب والديانات

جميعاً .٠

وتحول أهمية المعلم في حياة التلميذ كتب اخوان الصفا ما يلي : «واعلم ان المعلم والاستاذ أب لنفسك وسبب نشوئها وعلئه حياتها . كما ان والدك أب لجسده وكأن سبباً لوجوده وذلك ان والدك اعطاك صورة جسدانية ومعلمك اعطاك صورة روحانية . وذلك ان المعلم يغدو نفسك بالعلوم ويربيهما بالمعارف . فَسَلْ . يا أخي ربِّكَ أَنْ يُوفِّقَ لَكَ مُعْلِمًا رَشِيدًا هادِيًّا سَدِيدًا .٠٠٠ واعلم يا أخي أن من سعادتك بأن يتفق لك معلم ذكي جيد الطبع حسن الخلق صافي الذهن محب للعلم طالب للحق غير معصوب لرأي من المذاهب .» .

وبقصد الاخلاق العلمية وردت العبارات التالية : « واعلم يا أخي أيدئك الله وايانا بروح منه – بأن طالب العلم يحتاج الى سبع خصال .٠٠٠ فمنها السؤال والصمت ثم الاستماع ثم التفكير ثم العمل به .٠٠٠ ومنها ترك الاعجاب بمحاسنه .٠٠٠ وان العلم يكسب صاحبه عشرة خصال محمودة فمنها الشرف .٠٠٠ والعزة والقوة .٠٠٠ والحياء .٠٠٠ والمهابة .٠٠٠ واعلم يا أخي ان للعلماء – مع كثرة فضائل العلم – آفات وعيوباً .٠٠٠ فمنها الكبر والعجب والافتخار والتعصب .٠٠٠ وترك العمل بموجبات العلم وعجب الرء برأي نفسه والأتفقة من قبول الحق وترك الاقرار به .٠٠٠ والطيش في التصرف .٠٠٠ والغش والمكر في المعاملة والاستصغار لابناء الجنس وأقاويل الزور » .

وتحول قواعد الجدل العلمي وتبادل الرأي في النقاش للوصول الى الحقيقة مع مراعاة الاختصاص كتب اخوان الصفا : « اعلم ان كل مسألة تنازع فيها اثنان أو جماعة فلا تخلو من أن يكونوا من أهل الصناعة التي المسألة منها أو يكونوا من غير أهلها . فان كانوا من غير أهلها فكلامهم فيها على غير أصل

مقرئٌ منهم . وان كان احدهما من غير أهلها فان منازعته لصاحب تعدد « وظلم ، وكلام صاحبه معه أيضاً تختلف منه اذ كان يجادل مع من ليس من أهل صناعته . وان كانوا من أهل الصناعة فلا يخلوا من أن يكونا متساوين في الدرجة فيما أو متساوين . فان كانوا متساوين فحكمهما مثل ما تقدم ذكره من ذكر حكم الاولين . وان كانوا متساويي الدرجة في تلك الصناعة فسيلهمما ان يؤخذنا فيما اختلفا فيه الى قوانين تلك الصناعة واصولها ويقيس عليها تلك المسألة ان كانت من فروعها . وان لم يكن في قوة تفوسهما استخراجها فسيلهمما ان يتحاكم الى من هو أعلى درجة منها في تلك الصناعة ليحكم بينهما فيرضيا بحكمه ان لم يكن في قوة تفوسهما استخراجها من الاصول فليس لهما الا الترک لتلك المسألة والسكوت عنها . فان لم يفعلا ما وصفنا في الجداول فسيكون ذلك سبب العداوة والبغضاء بينهما : كلما ازدادا العاحدا ازدادا خلافا على خلاف » .

و حول افتتاح الذهن والنقد الذاتي – بالتعبير الحديث – وهو ما تطبع التربية الحديثة نحو تحقيقه وردت عبارات جريئة جداً في ضوء قريتها التاريخية وظروفها الاجتماعية السائدة آنذاك – وفي الوقت الحاضر ايضاً في كثير من المجتمعات المعاصرة – بحيث ان المرء يت Hibيب حتى عند الاستشهاد بها : ..

« اعلم – ايها الاخ البار – ان الحق في كل دين موجود ٠٠٠ وان الشبهة دخلوها على كل انسان جائز ممكن ٠٠٠٠ فلا تمسك بما انت عليه من دينك ومذهبك واطلب خيراً منه . فان وجدت فلا يسعك الوقوف على الاول . ولكن واجب عليك الاخذ بالاخير الافضل والانتقال اليه . ولا تشغلن بذلك معايب مذاهب الناس ولكن اقلر هل لك مذهب بدون عيوب ؟

واعلم ان الانسان العاقل قد يخفى عليه عيوب مذهبة كما تخفي عليه مساويه خلاله وقبائح افعاله وسيئات اعماله وتسعن له عيوب غيره » . هذه

العبارات أكثر دقة وجراءة — بنظرنا — من العبارات المماثلة التي كتبها الفيلسوف البريطاني جون لوك [ ١٦٣٩ - ١٧٠٤ ] — الذي جاء بعد اخوان الصفا بأكثر من ستة قرون — في رسالته النافعة الصيت التي ترجمة عنوانها « التساهل » او « التسامح » . والعبارات المشار إليها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعبارات أخرى مماثلة وردت في أماكن شتى من الرسائل : « وبالجملة ينبغي لاخواننا — أيدهم الله تعالى — ان لا يعادوا علماء من العلوم أو يهجروها كتاباً من الكتب ولا يتغصبوها على مذهب من المذاهب » . معنى هذا انهم ضد التعصب الذميم لا ضد اعتناق الآراء والمبادئ السليمة . ولهذا نجد لهم يقولون بحزم ضد الآراء الفاسدة : « واعلم يا أخي ان الآراء الفاسدة كثيرة . . . وان أهلها جمٌ غفير . . . وان أضرأهم بالعلماء منْ . . . اذا سئلوا عن اشياء هي موجودة مقدّرة بين الناس ومحروفة مشهورة عند الحكماء لا يحسنون ان يجيبوا عليها . . . بل يخوضون في طفلياتهم وجهالاتهم . . . يكتبون في ابطالها المقالات المؤخرفة ويمارضون الحكماء ويشتّعون عليهم » . وهذا يذكرنا بحادثة طريفة تتعلق بشمامه بن اشرس ذكرناها في مقالتنا عن الباحظ .

وحول أهمية العلم في الحياة وحول التعاون المشر في سبيل نشره وردت العبارات الممتعة التالية : « واعلم ان مواهب الله جلَّ اسمه كثيرة لا يُحصى عددها ولكن يجمعها جنسان تحت كل جنس ا نوع كثيرة أحدها قِنْيَةَ جسدانية والآخر قِنْيَةَ قسانية . فمن القنية الجسدانية احدها المال . ومن القنية النفسانية أحدها العلم . والناس في هاتين النعمتين العظيمتين على منازل اربع : منهم من قد رَزِقَ الحظ من المال والعلم جميعاً . ومنهم من رزق المال ولم يرزق العلم ومنهم من رزق العلم ولم يرزق المال . فينبغي لاخواننا من قد رزق المال والعلم أن يؤدي شكر ما انعم الله جلَّ وعز به عليه بأن يضم اليه أخاه من اخوانه من حرمتهما جميعاً . ولا ينفي أن يمن عليه بما ينفق عليه من مال ولا يستحقره . وأما منْ . . . رَزِقَ المال ولم يرزق العلم من اخواتنا فينبغي

له أن يطلب أخاً من رزق العلم ويضمه إليه ويواسيه : هذا من ماله ، وهذا من علمه . ويتعاونان على اصلاح أمر الدين والدنيا . وينبغي للأخ ذي المال أن لا يمتن على الأخ ذي العلم بما يواسيه من ماله ولا يحتقره لفقره .. وينبغي للأخ ذي العلم والحكم أن لا يحسد أخاه ذا مال ولا يستحقه لجهله ولا يغدر عليه بعلمه ولا يطلب منه عوضاً فيما يعلمه . لأن مثلمها في صحبتها وتعاونهما — هذا لهذا بمالي وهذا لهذا بعلمه — كمثل اليد والرجل في اتصالهما بالجسد ووحدتهما وتعاونهما في اصلاح الجملة . وذلك لأن اليدين لا تطلبان من الرجلين — اذا احتذتا نعلا او اخرجتا منها شوكة — جراءً ولا شكوراً . وكذلك الرجالان لا تطلبان من اليدين — اذا بلغتاها الى الموضع الذي شاءت وهربتا من خوف القطع — جراءً ولا عوضاً ، لأنهما آلات جسد واحد وقوام أحدهما بالآخر . وهكذا أيضاً السمع لا يمتن على البصر اذا اسمعه النداء . ولا البصر على السمع اذا أراه المنادي . وهكذا ينبع أن يكون تعاون اخواز الصفا في طلب الدين والدنيا ، ذلك لأن معاونة الأخ ذي العلم للأخ ذي المال بعلمه في صلاح الدين كمثل رجلين اصطحبوا في الطريق في مفارزة . احدهما بصير خفيف البدن معه زاد ثقليل لا يطيق حمله . والآخر أعمى قوي البدن ليس معه زاد . فأخذ البصیر بيد الاعمى يقوده خلفه ، وأخذ الاعمى ثقل البصیر فحمله على كتفه ، وتواصيا بذلك الزاد وقطعوا الطريق . ونجحوا مما ، فليس لاحدهما أن يمتن على الآخر في انجائه من التمهّكـةـ في معاونته لأنهما نجـوـاـ مما بـمـعاـونـةـ كل واحد منها صاحبه . والمساعدة لا تكون الا بين اثنين أو أكثر . والأخ الجاهل كالاعمى . والأخ الفقير كالضعفـيـ . والأخ الغبي كالقوى . والأخ العالم كالبصیر . والطريق هو صحبة النفس مع الجسد . والمفارزة هي الحياة الدنيا ، والنجاة الآخرة » .

وبقصد تمحیص معانی الكلام تفادياً للالتباس أو الغموض أو الالهام في المعنى وردت العبارات التالية : « واعلم ان الحق هو غایة ليست وراءها نهاية

ولكن دونها أمور متشابهة مشكلة . واعلم ان الالفاظ محتملة المعاني وان الاوهام تذهب في طلبها كل مذهب . فينبغي اذا سمعت لفظة محتملة للمعنى الا تحكم عليها دون أن تتبين بعقولك كل المعاني التي تحتملها تلك اللفظة لعلك تفهم الفرض الاقصى الذي هو الصواب . وتبليغ الغاية التي هي الحق ٠٠٠ ونريد أن نقرب لك مثلاً ليكون قياساً على ما قلنا ووصفنا : ذكر في المثال أنه كان رجالان اصطحباه في طريق على سفر . فلما اتياه الى شاطئ نهر قعدا للنداء . فأخرج كل واحد زاده ، فكان مع احدهما رغيفان ومع الآخر ثلاثة أرغفة ، فكسرها في موضع واحد ليأكلها اذ مرّاً بهما مجتاز فدعواه الى طعامهما فأجاب وجلس وأكل معهما ، فلما فرغوا قام ورمى بين يديهما خمسة دراهم وقال : اقسماها بينكما بالسوية ، ومضى هو لسبيله . فقال صاحب الرغيفين لصاحب : لك النصفولي النصف الباقي لانه قال بالسوية . وقال صاحب الثلاثة أرغفة : بل العدل أن يكون لي ثلاثة دراهم ولك درهماً لأن لا يقال بالسوية بحسب الرغيف ، فتنازعا وتخاصما وتحاكما الى قاضٍ فحكم باربعة دراهم ل الاول ويدرهم واحد للثاني . وكان حكمه سليماً » . ومن طريف يروى في هذا الباب ان القاضي شريك بن عبدالله زار المهدى فأراد المهدى ان يبخره فقال للخادم هات للقاضي عوداً . فجاء الخادم بالعود الذي يتلئمى به ووضعه في حجر شريك . فاضطرب شريك وقال ما هذا يا أمير المؤمنين ؟

قال المهدى : عود أخذه صاحب العسرين البارحة فأحببنا أن يكون كره على يدي القاضي .

وذكر الرواة أيضاً ان رجلاً من بنى كلاب [وقيل من بنى عامر بن صعصعة] قدم على أحد ملوك اليمن وصَمَدَ على السطح لمقابلته . فلما رأه قال « ثِبْ » . فقال الرجل : ليعلم الملك أني سامع مطيع . فوثب فتدفعه عنقه . فقال الملك : ما شأنه ؟ قيل أَبَيَتَ اللَّهُنَّ أَنَّ الْوَبَّ فِي كَلَامِ نِزارٍ

يعني الوثوب الى اسفل وليس القعود . فقال الملك ليست عريتنا كعربيتهم :  
من دخل مدینتنا فعليه ان يتكلم لغة حمير .

ومن طريف ما يروى في هذا الباب ان خالد بن الوليد قال لأهل الخبرة :  
اخرجوا اليَّ رجلا من عقائكم أسؤاله عن بعض الامور . فاخرجوا اليَّ  
عبدالمسيح بن عمرو بن قيس بن حيَّان بن بُثَيْلَة . وكان شيخاً طاعناً في  
السن . فقال له خالد : من أين أتعي أثرك ؟ قال من صُنْب أبي . قال فمن  
أين خرجمَت ؟ قال من بطنه أمي . قال فعلامَ أنت ؟ قال على الأرض . قال  
فيمَ أنت ؟ قال في ثيابي . قال مَا سِنْتَك ؟ قال عظم . قال : أتعقِّل  
لَا عَقْلَتَ ؟ قال : أيَّ والله وأقِيدَ . قال ابن كم أنت ؟ قال ابن رجل  
واحد . قال كم أتي عليك من الدهر ؟ قال نو أتى عَلَيَّ شيء لقتلني . قال  
ما تزيَّدْني في مسألتك الا غَمَّا ؟ قال ما اجبْتَك الا عن مسألتك .

ويجري هذا المجرى ما ذكر الرواة عن رجل سأل هشام بن عمرو القرطبي  
عن عمره بقوله : كم تَعْدُ ؟ فقال هشام من واحد الى الف او اكثر .  
قال الرجل لم أرد هذا . قال هشام فما أردت ؟ قال كم تَعْدُ من السن ؟ قال  
الرجل : اثنين وثلاثين سنة . قال لم أرد هذا . قال فما أردت ؟ كم لك من  
السنين ؟ قال ما لي فيها شيء . كلها الله . قال فما سِنْتَك ؟ قال عظم . قال فابن  
كم أنت ؟ قال ابن اثنين : أب وأم . قال فكم أتي عليك ؟ قال لو أتى عليَّ  
شيء لقتلني . قال : فكيف أقول ؟ قال كم مضى من عمرك ؟

وقيل لعمرو بن عبيد ما البلاغة ؟ قال ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن  
النار وبصَرَك موقع رُشْدِك وعواقب غَيْرِك . قال السائل ليس هذا أريد .  
قال عمرو : من لم يحسن أن يسكن لم يحسن أن يستمع . ومن لم يحسن  
الاستماع لم يحسن القول . قال ليس هذا أريد . قال عمرو : قال رسول الله  
«انا معاشر الانبياء فيما بِمَكَّة» . قال الرجل ليس هذا أريد . قال : كانوا  
يغافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ما لا يغافون من فتنة السكوت

وسقط الصمت . قال الرجل ليس هذا أريد . قال عمرو يا هذا فكأنك تريد تجир اللفظ في حسن الافهام !؟ قال نعم .

ومن طريف ما يروى أيضا في هذا الباب – وهو كثير منثور في كتب الأدب العربي القديمة المشهورة – أن بدويا جاء المدينة شاكيا إلى حاكمها . فبلغها مع الليل . ولما قصد الحكم في قصره . قال له الحراس إن الحكم الآن في طرب بالقانون ولا يستطيع أن يراك . فانصرف ، ثم جاء الصباح فرفع شكواه فرفضها الحكم . فقال البدوي : بِمَ رَفِضْتَ؟ قالوا بالقانون . فاستغرب وقال بتهمكم لا يخلو من مراة : « ما هذا القانون الذي تطربون به بالليل وتحكمون به بالنهار؟! » .

وذكر أن الجاحظ فسر كلمة « تلحن » في البيت الثالث من أبيات مالك بن اسماء بن خارجة في وصف جارية :

أَمْفَطَّئِيْ مِنِّي عَلَى بَصْرِي لِلْحُبْ أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حَسْنَا  
وَحَدِيدِيْ أَكْذَّبِيْ مِمَا يَتَعْمَلُ النَّاعِنُونَ يَوْزُنْ وَزَنْ  
مَنْطَقْ صَائِبْ وَتَلْحَنْ أَحْيَانًا وَخَيْرْ الْكَلَامُ مَا كَانَ لَهُنْسا  
بِقُولِهِ « يَسْتَأْتِرُفُ مِنَ الْجَارِيَةِ أَنْ تَكُونُ غَيْرُ فَصِيحَةٍ وَأَنْ يَعْتَرِي  
نَطْقُهَا الْحَنْ » . وَعِنْدَمَا عَوْتَبَ الْجَاحِظَ وَقِيلَ لَهُ إِنَّ « تَلْحَنَ » هُنَا بِمَعْنَى  
ثُورَّيِّ عن الشيءِ مِنْ فِطْنَتِهِ وَذَكَائِهِ قَالَ « لَقَدْ فَطَنْتُ لِذَلِكَ بَعْدِهِ » .  
فَقِيلَ لَهُ فَعَيْرِهِ . فَقَالَ كَيْفَ لِي بِمَا سَارَتْ بِهِ الرَّكَبَانِ؟!

وإذا كان الجاحظ – العالم اللغوي الفذ – قد أخطأ في تفسير معنى العمل « تلحن » دون النظر إلى قرينته في البيت مما بالك بمن هم دون الجاحظ بمراتب في مستوى ثقافتهم اللغوية؟!

أما المجاز بأنواعه لا سيما الكنية والتورية فهو باب واسع رافقته حوادث ممتعة منها مثلا : أن رجلا قال أتيت الجمحي استشيره في امرأة أردت

التزوج بها . فقال : أقصيرة هي أم غير قصيرة ؟ قال الرجل فلم أفهم ذلك . فقال لي كائناً لك لم تفهم ما قلت ! ! لقد أردت بقولي قصيرة : وهي قصيرة النسب تعرف بأيتها أو جدها . وذكر الرواة أن عبدالله بن سلام رأى ثوبان « مُعَصْفَرَا » على رجل فقال له « لو أن ثوبك في تَنَورِ أهلك او تحت قِدْرِهِمْ كان خيرا » . فذهب الرجل وأحرق ثوبه . وعندما عتب عبدالله بن سلام على ذلك قال إنما أردت : « لو صرف ثمنه إلى دقيق تخزنه أو حطب تعليغ به كان خيرا » . وقيل أيضاً إن امرأة وقتت على قيس بن عبادة فقالت : « أشكو إليك قلة الفار في بيتي » . فقال : أملأوايتها خبزاً ولحماً وسمناً . ومن طريف ما يروى أيضاً في هذا الباب إن امرأة جاءت إلى عمر بن الخطاب فقالت : يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل واني أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله ، فقال نعم الزوج زوجك فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب . فقال كعب بن سوْرٍ – وكان حاضراً – يا أمير المؤمنين إنها تشكو زوجها في مبادته إياها عن فرشه . ففطن عمر حينئذ وقال له قد وَلَيَتُكَ الحِكْمَ بِيَنْهَمَا .

وكثيراً ما يحصل في الكنية – عند الشعراء مثلاً – ابدال لفظة **يَسْتَهْجَنَ** ذكرها بلفظة أخرى بعيد معناها عن المعنى المقصود : من ذلك مثلاً :

فَصِرِّنَا إِلَى « الْحَسْنِي » وَرَقَّ كَلَامِنَا  
وَرَضِّتَ فَذِكْرَتْ صَعْبَةَ أَيِّ إِذْلَالٍ

ويقول شاعر آخر :

نَسُودُ أَعْلَاهَا وَتَأْبِي اصْوَلَهَا  
وَلِيَسَ إِلَى رَدِّ الشَّبَابِ سَبِيلٌ  
ويدخل في هذا الباب – من طرف خفي – موارة الشعراء :

ذكر الرواية ان عبد الله بن مروان سأله أحد شعراء الغوارج عن معنى قوله :

فَمَنَا زَهِيرٌ وَالْبُطَيْنُ وَقَعْنَبٌ

وَمِنْتَأْ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدٌ

فقال الشاعر مواربا ، ومداجيا انما قلت يا أمير المؤمنين :

فَمَنَا زَهِيرٌ وَالْبُطَيْنُ وَقَعْنَبٌ

وَمِنْتَأْ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - يَزِيدٌ

والخطاب لك يا أمير المؤمنين . فعفا عنه وأجازه .

وخبر هرون الرشيد مع مسلم بن الوليد مشهور . فقد ألح الرشيد في طلب مسلم لانه رمسي عنده بالتشيع لآل أبي طالب . فلما أتى به قال له الرشيد أنت القائل :

أَنِّسَ الْهَوَى بَيْنِ الْعُمُومَةِ فِي الْحَشَّا

وَأَرَاهُ يَظْمَحُ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ

قال مسلم بل أنا الذي يقول يا أمير المؤمنين :

أَنِّسَ الْهَوَى بَيْنِ الْعُمُومَةِ فِي الْحَشَّا

مُسْتَوْحِشًا مِنْ سَائِرِ الْإِيمَانِ

وَإِذَا تَكَامَلَتِ الْفَضَائِلُ كَتَمْ

أَوْلَى بِذَلِكِ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ

وقصيدة الرشيد وابي قواس وخالصة معروفة :

خالصة جارية من جواري الرشيد كانت حسنة . وقد مدح أبو نواس هرون الرشيد بقصيدة فلم يلتفت اليه لانشغاله بهذه الجارية . فاشتد الفيظ بأبي نواس وانصرف وهو واجد على خالصة . وكتب على أحد ابواب المصورات .

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع عِقد" على خالصه  
وبعد أن علم الرشيد استدعاء لمعاقبته . فاتجه أبو نواس الى ناحية الباب فمحا تجويف العين في الموضعين من « ضاع » فصار أول العين مثل المزءة وصار البيت هكذا :

لقد ضاء شعري على بابكم كما ضاء عِقد" على خالصه  
أما الفموض أو الالتباس في المعنى الذي يحصل أحياناً بفعل التقاديم والتأخير وبخاصة في الشعر فهو كثير وممتنع أيضاً .  
ولدى أبي الطيب المتنبي منه الشيء الكثير . قال مثلاً في معرض مدحه شجاع بن محمد الطائي المنجي :

أئّي يكون أبا البرىكة آدم" وأبوك والقلدان أنت محمد  
وقال أيضاً من قصيدة في مدح أبي العشار :  
فأكبروا فِعلَه وأصْنَرَه أكْبَرَه من فعله الذي فَعَلَه .  
وقال أيضاً وهو يمدح أبا الحسين علي بن أحمد المريقي :

حَسَنٌ" في عيون اعدائه أقبَحَ  
من ضيفه وأنه السُّوَام  
وقال الجواهري وهو يعرض بالفترة الحاكمة في العهد الملكي :

أتسم الله واحـداً وهو لا شـكْ أربـبعـ

مع العلم ان التقديم والتأخير في اللغة العربية له موضعه المطلور والمتفق عليهما بين المختصين من حيث الاساس وعلى وجه العموم . ولكن تعسف بعض الكتاب والشعراء في استخدام التقديم والتأخير في غير موضعه المتفق عليهما يثير البلبلة والارتباك وغموض المعنى كما اتضح ذلك في بيت الجوهرى وأبيات المشتبئ المار ذكرها .

وللغة العربية مزايا عجيبة وطريقة أخرى كثيرة تقع خارج نطاق هذه الدراسة لعل من المفيد أن نشير الى بعضها منقولاً عن الجزء الاول من كتاب دلائل الاعجاز للعرجاني (ص ٩١ - ٩٥ ، ٨٦ - ١١١ - ١١٣)

« ان أغراض الناس تختلف في ذكر الافعال المتعدية : فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على اثبات المعانى التي استقرت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين . فإذا كان الامر كذلك كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلاً في أنه لا ترى له مفعولاً لا لفظاً ولا تقديرأ . ومثال ذلك قول الناس : « فلان يحل ويعد . ويأمر وينهى . ويضر وينفع . وكقولهم : هو يعطي ويجزل . ويقرى ويضيف » . والمعنى في جميع ذلك على اثبات المعنى نفسه للشيء، على الاطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحذف المفعول . فإن الفعل لا يعدى هناك لأن تعديته تنقض الفرض وتغيّر المعنى . لكن في بعض الحالات يكون اظهار المفعول هو الاحسن وذلك كقول الشاعر :

ولو شئتْ أَنْ أَبْكِيْ  
دَمَّاً لِبَكِيْتِهِ  
عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةَ الصَّبَرِ أَوْ سَامِعٍ

... وسبب حسنه أنه كائنه يدع عجيب أن يشاء الانسان أن يبكي دماً . فلما كان ذلك كان الاولى أن يصرخ بذلكه ويقرره في نفس السامع ويؤنسه به ... ذكرروا ان الكلندي ركب يوماً الى العباس وقال له اني لاجد في كلام العرب حشوأ . فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟

فقال أجد العرب يقولون : « عبد الله قائم » ثم يقولون « ان عبد الله قائم » . ثم يقولون « ان عبد الله لقائم » . فالالفاظ متكررة والمعنى واحد . قال أبو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الالفاظ . فقولهم : « عبد الله قائم » إخبار عن قيامه . وقولهم « ان عبد الله قائم » جواب عن سؤال سائل . وقولهم : « ان عبد الله لقائم » جواب انكار من ينكر قيامه .

### الجاحظ :

لقد مرّ بنا الاستشهاد بعبارات كثيرة تحمل آراءً تربوية لطائفة من المعينين بشؤون التعليم في التراث العربي الإسلامي . ونود ان نختتم هذا الجانب من جواب هذا البحث بالاستشهاد بعبارات تحمل آراء الجاحظ التربوية كما وردت في رسالته الموسومة « في المعلمين » التي عثرنا عليها مخطوطه في مكتبة المتحف البريطاني : كتب الجاحظ في صدر كتابه « في المعلمين » العبارات التالية : وفيها خروج ضمني على موقفه الذي اتسم بازدراه بالمعلمين كما ورد ذلك في اماكن متعددة من « كتاب البيان والتبيان » : قال الجاحظ يخاطب نفسه على ما ظن :

« اعانك الله على سورة الفضب وعصمت من سرف، الهوى وصرف ما اغارك من القوة الى حب الانصاف . . . فقد استعملت في المعلمين نواف السفهاء وخطل الجهلاء، ومناقشة الابذية، ومحاجنة سبل الحكماء . . . »

ويستطرد الجاحظ فيصف اهمية الكتاب الذي هو مادة المعلم ودليله ومرشدته في مهنته ويحود ثانية الى تقد موقفه السابق من المعلمين فيقول :

« ولو لا الكتاب لاختلت اخبار الماضين وانقطعت آثار الفائين وانما اللسان للشاهد لك والقلم للغائب عنك وللماضي قبلك والماهير بعده فصار قمعه أعم والدواين اليه أفقه والملك المقيم بانواعه لا يدرك مصالح اطرافه وسد ثغوره وتقويم سكان مملكته إلا بالكتاب . ولو لا الكتاب لما تم تدبير

ولا استقامت الامور ورأينا عمود صلاح الدين والدنيا انما يعتدل في نصايه ويقوم على اساسه في الكتاب والحساب ٠ وليس علينا لاحد في ذلك من المِنْتَهَى بعد الله الذي اخترع لنا ولنا عليه واخذ بناوصينا اليه ما للمعلمين الذين سخّرُهم لنا ووصل حاجتهم الى ما في ايدينا ٠ وهو لاء الدين هجوتهم وشكوتهم وحاجتهم وفحشت عليهم والزتم الاكابر ذنب الأصغر وحكمت على المجتهدين بتفريط المقصرين ورثيت لباء الصبيان من إبطاء المعلمين عن تحذيقهم ولم ترث للمعلمين من إبطاء الصبيان عملاً يراد بهم وبعدهم عن صرف القلوب لما يحفظونه ويدرسونه ٠ والمعلمون اشقي بالصبيان من رعاة الفسان وروافض المهاري ٠ ولو نظرت من جهة النظر علمت ان النعمة فيهم عظيمة سابعة والشكر عليها لازم واجب » ٠

ثم يتبسيط الباحث في توضيح المعنى الضمني الذي تحمله كلمة « معلم » واهمية تبادل الرأي والمناقشة فيقول : « واجمعوا على انهم لم يجدوا كلمة اقل حرفاً ولا أكثر ربيعاً ولا اعم فرعاً ولا أحدث على بيان ولا ادعى على تبيين ولا اهجمى لمن ترك التفهم وقصر في الافهام من قول امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه « قيمة كل امرىء ما يحسن » ٠ وقد احسن من قال : مذاكرة الرجال تلقيح لألبابها ٠ وكرهت الحكماء الرؤساء اصحاب الاستبساط والتفكير جودة الحفظ لكان الاتكال عليه وانفصال العقل من التميز حتى قالوا الحفظ عنق الذهن ولأن مستعمل الحفظ لا يكون الا مقتدأ ٠ والاستبساط هو الذي يفضي بصاحبها الى برد اليقين وعز الثقة ٠ والقضية الصحيحة والحكم المحمود انه متى أداه الاستبساط أضرَه ذلك بالحفظ وان كان التحيط اشرف منزلة منه ٠ ومتى اهمل النظر لم تسع اليه المعايير ومتى اهمل التحفظ لم يعلق بقلبه وقله مكتها في صدره ٠ وطبيعة الحفظ غير طبيعة الاستبساط » ٠ ثم يقول بصدق موقف المعلم من التلاميذ ومنزلته في المجتمع :

« ويستدل ايضا بوصايا الملوك للمؤدّين في ابناهم وفي تقويم أحداهم على انهم قلدوهم امورهم وضميرهم بلوغ التمام في تأديبهم . وما قلدوهم ذلك الا بعد أن ارتفع اليهم في العنوان حالم في الادب وبعد ان كشفهم الامتحان وقاموا على الخلاص . وانت - حفظك الله - لو لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحسّاب والخطاطين لوجدت أكثرهم مؤدّب كبار ومعلم صغار . فكم تظن انا وجدنا منهم من الرواة والقضاة والحكماء والولاة من المناكير والدهاء ومن العحمة والكفاءة ومن القادة والذّادة ومن الرؤساء والساسة ومن كبار الكتاب والشعراء والوزراء والادباء ومن اصحاب الرسائل والخطابة والمذكورين بجميع اصناف البلاغة ومن الفرسان واصحاب الطحان ومن نديم كريم وعالم حكيم ومن مليح طريف ومن شاب عفيف . ولا تعجل بالقضية حتى تستوفي آخر الكتاب وتبلغ أقصى العذر فانك ان كنت تعمدت تزمنت وان كنت جهلت تعلمت . وما اظن من احسن بك الفلن الا وقد حالف الحزن » .

والعلم - بنظر الجاحظ - هو كل صاحب صنعة يتقنها ويحسنها ويعملها الآخرين بجد وامانة وحرص ، وهذا يشمل أيضا مدربي الحيوانات :

« قال المعلم : وجدنا كل صنف من جميع ما بالناس الى تعلمه حاجة معلمين كمعلم الكتاب والحسّاب والحسّاب والفرائض والقرآن والنحو والعروض والاشعار والاخبار والآثار . ووجدنا الاولئ كانوا يتخدون لابنائهم من يعلمهم الكتاب والحساب ثم لعب الصوّالجة والرمي ٠٠٠ والفروسية ولللعب بالرماح والسيوف والمشاولة والمنازلة والمطاردة ثم النجوم واللحون والطب والهندسة وتعلم النرد والشطرنج وضرب الدفوف وضرب الاوتار والوقع والتفح في اصناف المزامير ويأمرون بتعليم ابناء الرعية افلحافة والتجارة والبيان والصياغة والخياطة ٠٠٠ وأنواع الحياكة . نعم حتى علموا البلايل وأصناف الطمير الالحان وناسا يعلمون القرود والدببة والكلاب والظباء المكيبة والبيغاء ٠٠٠

وغراب البين ، ويعلمون الابل والخيل والبغال والخيير والفيلة أصناف المحي وأجناس العيل . ويعلمون الشواهين والصقور الصيد . . . ويعلمون الدّواب الطحن . . . ووجدنا للأشياء كلها معلمين . وانا قيل للإنسان، العالم الصغير سليل العالم الكبير لأن في الإنسان من جميع طبائع الحيوان اشكالاً من حيل الذئب وروغان الثعلب ووثوب الأسد وحقد البعير وهداية القطاء . وهذا كثير . وهذا بابه ولا نه يحكي كل صوت بقمه . ويصور كل صورة بيده . ثم فضله الله تعالى بالمنطق والرواية وامكان التصرف . وعلى أتنا لا نعلم أن لا أحد من جميع أصناف المعلمين لجميع هذه الأصناف كفضيلة المعلم من الناس الاحداث هي المنطق النور ككلام الاحتجاج والصفات والمناقلات من المسائل والجوابات في جميع العلامات بين الموزون من القصائد والارجاز من المزوج والاساع مع الكتاب والحساب وما شاكل ذلك ووافقه واتصل به وذهب مذهبه » .

وبصدق موقفه من المعلمين على وجه الاجمال ذكر الجاحظ ان المعلمين عنده على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة الى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا من تعليم أولاد الخاصة الى تعليم اولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة ، فكيف نستطيع أن نزعم ان مثل علي بن حمزة الكسائي ومحمد بن المستير الذي يقال له قطُّرَب وأشيه هؤلاء يقال لهم حمقى ! ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم . فان ذهبوا الى ملجمي كتائب القرى فان لكل قوم حاشية وستقلة . فما هم في ذلك كفيرهم . وكيف نقول مثل ذلك على هؤلاء ومنهم الفقهاء والشعراء والخطباء !!

والخطباء !! مثل الكتميت بن زيد وعبدالحميد الكاتب وقيس بن سعد وعَطاء بن أبي رَبَّاح . ومثل عبدالكريم بن أبي أمِيَّة وحسين المعلم وأبي سعيد المعلم !! ومن المعلمين الضحاك بن مزاحم . وأمّا سعيد وعامر الشعبي

فكانا يعلمُان أولاد عبد المللّك بن مروان . وكان معبد يعلم سعيداً بن عبد المللّك بن مروان . ومنهم أبو سعيد المؤذن وعبدالصمد بن عبد الأعلى وكان معلم ولد عتبة بن أبي سفيان . وكان اسماعيل بن علي التزم بعض بنيه عبدالله بن المقفع يعلمه . وكان أبو بكر بن كيسان ملماً . ومنهم محمد بن السكن . وما كان بالبصرة رجلان أرwoي لصنوف العلم ولا أحسن بياناً من أبي وزير وأبي عدنان المعلمين . وحالما من اول ما اذكر من أيام الصبا . وقد قال الناس في أبي البيداء وفي أبي عبدالله الكاتب وفي الحجاج وايه ما قالوا . وقد انشدوا مع الخبر شاهداً من الشعر على أن الحجاج واباه كانوا معلمين بالطائف .

ثم يتحدث الجاحظ عن الاصل الاشتقافي لكلمة « معلم » فيقول « وقالوا انما اشتق اسم المعلم من العلم ، واسم المؤذن من الادب . وقد علمنا ان العلم هو الاصل والادب هو الفرع . والادب اما خلق واما رواية . وقد اطلقوا له اسم المؤذن على العموم . والعلم اصل كل خير وبه ينفصل الكرم من اللئم . والحال من الحرام . والفضل من الموازنة بين افضل الخيرين والمقابلة بين انقض الشررين . فلم يعرضوا احد من هذه الاصناف التي اتخد الناس لها المعلمين من جميع انواع الحق والباطل والسرف والاقتصاد والجد والهزل الا هؤلاء الذين لا يعلمون الا الكتاب والحساب والشعر وال نحو والفرائض والعروض » .

ثم ينتقل الجاحظ الى الحديث عن الادب فيقول :  
« وقد ذهب قوم الى أن الادب حرف وطلبه شؤون وانشدوا قول الشاعر :

ما ازدلت في أدبي حرفاً أئسر به  
الا تزدت حرفاً تحته شؤون

ان المقدّم في خُرُقٍ بصنعته

أئَى توجّهٍ فيهَا فهو محرومٌ

ولم تَرْ شاعرًا نال بشعره الرغائب ولا أدبًا بأدبِهِ المراتب »

ثم يشير العاخط قضايا تربوية طريفة : « وقد قالوا الصبي عن الصبي أفهم وبه أشكُل وكذلك الغافل والغافل والاحمق والغبي والغبي والمرأة والمرأة . قال الله تبارك وتعالى : ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً . لأن الناس عن الناس أفهم واليه أسكن فما اعان الله تعالى الصبيان ان قرءَ طبائعهم ومقدار عقولهم من مقدار عقول العالمين . وسمع الحجاج - وهو يسير - كلام امرأة من دار قوم فيه تخليط وهذيان فقال مجنونة أو ترقضن صبياً . ألا ترى ان ابلغ الناس لساناً وأدَّتهم فطنه وأبعدهم رؤية لو ناطق طفلأ أو ناغي صبياً توخي حكاية مقدار عقول الصبيان والشّبه لمخارج كلامهم . وكان لا يجد بدأ من أن يصرُّ عن كلما فضلَه الله به بالمعرفة الشرفية واللّفاظ الكريمة . وكذلك يكون مشكلة بين المتقين في الصناعات » .

ثم ييدي العاخط رأياً صائباً - بمقاييسنا التربوية الراهنة - بصدق تعليم النحو للصبيان والفرق بين معرفة أصحاب الاختصاص ومعرفة غيرهم :

« وأما النحو فلا تشغّل قلبهم منه الا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن ومقدار جهل العوام في كتاب ان كتبه وشعر ان انشده وشيء ان وصفه . وما زاد عن ذلك فهو مشكلة عمتا هو أولى به ومدخل عمتا هو أرد عليه منه من روایة المثل الشاهد والخبر الصادق والمعنى البارع . وانما يرغب في بلوغ غايته ومجاوزة الاقتصاد فيه من لا يحتاج الى تعرّف جسيمات الامور والاستبطان المتذبذب ولصالح العباد والبلاد والعلم بالاركان والقطب

الذى تدور عليه الرحى ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه . وعويس  
النحو لا يجري في المعاملات » .

ثم يتنتقل الى تعليم الصياغ الحساب ويوازن بينه وبين تعليم النحو [ وفروع اللغة الأخرى ] فيبني رأياً صائباً من حيث الاساس بمقاييسنا التربوية الحديثة : « وأنا أقول أن البلوغ في معرفة الحساب الذي يدور عليه العمل والتوقى فيه والسبب اليه أرد عليه من البلوغ في صناعة المحررين ودروس الخطاطين . لأن في أدنى طبقات الخط مع صحة الم جاء بلاغاً وليس كذلك حال الحساب . ثم خذه بتعريف حجج الكتاب وتخلصهم باللّفظ السهل القريب المأخذ الى المعنى الفاهم . وادقه حلاوة الاختصار وراحة الكفاية وحذره التكليف . فان أكرم ذلك ما كان اهاماً للسامع ولا يحوجه الى التأويل والتعقب ويكون مقصوراً على معناه لا مقصراً عنه ولا فائضاً عليه . فاختر من المعاني ما لم يكن مستوراً باللّفظ . . . والخلاصة : ان لكل معنى شريف او وضعيف هزل او جد . . . ضرباً من اللّفظ هو حقه وحظه ونصيه الذي لا ينبغي ان يجاوزه ويقصر دونه . ومن قرأ كتب البلفاء وتصفح دواوين الحكماء ليستفيد المعاني فهو على سبيل صواب ومن نظر فيها ليستفيد الالفاظ فهو على سبيل الخطأ والخسران . . . ولذلك قال بعض الشعراء لصاحبه أنا أشعر منك . قال صاحبه : لمَ ذاك ؟ قال لاني أقول البيت وأخاه وأنت تتقول البيت وابن عمه » .

لقد مرءَ بنا رأي الجاحظ في تعليم النحو للصياغ والفرق بين معرفة المختص وبين المعرفة العامة لغير المختص . وهذا رأي وجيه ذكره ابن السكّيّت أيضاً حين قال « وخُذْ من النحو ما تقيم به الكلام ودعِ  
الفوامض » . ذلك فان « ما تقيم » « به الكلام » ليس بالامر الهين ولا يعني مطلقاً أن يكون المرء سطحياً في النحو وهو لغة العربية . قيل ان رجلاً استأذن على ابراهيم النخعي [ او الحسن البصري ] فقال « أبا عمران » أو

«أبا سعيد» في الدار؟ فلم يجبه . فقال «أبي عمران» أو «أبي سعيد» في الدار؟ فناداه : قل الثالثة وادخل . والنحو وثيق الصلة بالدين الحنيف . ذكر ياقوت في معجم الادباء ما يلي : «ألا ترى ان القاريء اذا قرأ «ان الله بريء من المشركين ورسوله» – بالرغم – فقد سلك طريقاً من الصواب واضحاً وركب منهجاً من الفضل لأنما ! فان كسر اللام من «رسوله» كان تكراً بحنا وجحلاً قتها . وقد رُوي أن أبا العلاء كان يقول إنتقان العربية يجعل المرأة أفضل في الدنيا والآخرة . فقيل له هو أفضل في الدنيا افضل فصاحته وعريته . أرأيت الآخرة ما بالله فَضَلَّ فيها : قال انه يقرأ كتاب الله على ما أزله الله . والذي يلحن يحمله احتئه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه ويخرج منه ما هو فيه . قال: قلت صدق الامير » .

وعن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه : « قال تكلم أبو جعفر المنصور في مجلس فيه اعرابي فلعن ، فصرّ الاعرابي أذنيه . فلعن مرة أخرى أعلم من الاولى فقال الاعرابي أَفِ لِهذا ماهذا ؟ ثم تكلم فلعن الثالثة . فقال الاعرابي اشهد لقد ولّيت هذا الامر بقضاء وقدر » .

وذكر أن طاهر بن الحسين مر على الكوفة وكان العباس بن محمد بن موسى واليا على الكوفة . فوجه العباس كتابه إليه . فلما دخل على طاهر قال له : اخيك أبي موسى يقرأ عليك السلام . قال : وما انت منه ؟ قال كتابه . قال نعم . على عيسى بن عبد الرحمن . قال فجاء . وكان عيسى كاتب طاهر . فقال : اكتب وانت قائم يصرف العباس بن محمد بن موسى عن الكوفة اذا لم يتخذ كتاباً يحسن الاداء عنه » .

وبصدق اهمية النحو في سائر العلوم يمكننا ان – نستشهد ايضاً – بالإضافة الى ما ذكرناه – بما قاله حماد بن سلمة بن دينار شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه الذي أخذ عنه يونس بن حبيب النحوي وكان

سيبوه يستملي عليه ايضاً . كان حماد يقول : من لَحَنَ في حدثي فقد كذب علىه ٠ ومن طريف ما يروى في هذه المناسبة ان حماد امر سيبوه ان يكتب الحديث الشريف الذي ستأنى الاشارة اليه « ما من أحد من أصحابي الا لو شئت لأخذت عليه ليس ابا الدرداء » ٠ فقال سيبوhe ليس ابا الدرداء ٠ فقال حمّاد : لحنت يا سيبوhe . فقال سيبوhe لا جرم ساطلين علمًا لا نلحنن فيه ٠

ويجري هذا المجرى ما رُوي عن الكسائي أنه قال : أجمعت أنا وابو يوسف القاضي عند هرون الرشيد . فجعل ابو يوسف يدم النحو . فقلت له ما تقول في رجل قال لرجل : أنا قاتل غلامك . وقال لآخر : أنا قاتل غلامك . ايها كنت تأخذ به . فقال آخذهما جميعاً . فقال الكسائي اخطأت يا ابا يوسف : الذي يتوَخَّد بقتل الغلام هو الذي قال : أنا قاتل غلامك [بالاضافة] لانه فعل ماض . أمّا الذي قال انا قاتل" غلامك [بالنصب] فلا يتَوَخَّد لانه مستقبل : لم يكن بعْد كما قال الله « ولا تقولن لشيء اتّجِي فاعل» ذلك غداً إلا ان يشاء الله » ثم خاطب الكسائي ابا يوسف : ما تقول لرجل قال لامرأته أنت طالق إِنْ دخلت الدار » . فقال ابو يوسف ان دخلت الدار طلَّكت . فقال الكسائي : خطأ . اذا فتحت « آن » وجّب الامر . واذا كثِرت فانه لم يقع الطلاق بعْد .

## الفصل الثاني

### الجوانب النفسية

وردت الجوانب النفسية في التراث العربي الإسلامي [ كالجوانب التربوية التي تحدثنا عنها في الفصل الأول ومعها أحياناً ومنفصلة عنها أحياناً أخرى ولدي بعض المتنين بشؤون التربية من ذكرنا اسماءهم دون بعض آخر بشكل صريح أو ضمني ] مبعثرة ومتفرقة أيضاً في كتب الأدب والفلسفة والطب . وهي آراء متضاربة . وبعضها بعيد عن روح المصر الذي نعيش فيه . وهذا أمر متوقع ولكنه لا ينقص من قيمتها في ضوء قريتها التاريخية . وقد اعرضنا عن ذكر الآراء البعيدة عن روح المصر لأن ذلك يقع خارج نطاق هذه الدراسة التي جعلنا عنوانها « آراء وموافق تربية سايكلولوجية صائبة في التراث العربي الإسلامي » . صائبة من وجهة النظر العلمية المعاصرة . وبما أن الآراء السايكلولوجية الصائبة موجودة – بنظرنا – في رسائل أخوان الصفا [ بشكل مشتت هنا وهناك ] فسوف نشهد بها وحدتها في هذا الفصل ونلقي عليها بين حين وآخر .

كتب أخوان الصفا [ بقصد أهمية علم النفس ] في احدى رسائلهم ما يلي « اعلم – ايها الاخ البار الرحيم أيدئك الله وابانه بروح منه – ان احد اغراضنا

من هذه الرسالة ما يبئنا في أولها ٠٠٠٠ وأما الفرض الآخر فهو التبيه على علم النفس والبحث على معرفة جوهرها ٠ « و حول العلاقة بين النفس والجسد [ او بالتعبير العلمي الحديث : بين الدماغ وسائر اعضاء الجسم ] كتب اخوان الصفا العبارات الطريفة التالية : « ثم ان هذا الجسد لهذه الروح - من جهة اخرى - بمنزلة دكان الصانع ٠ وان جميع اعضاء الجسد للنفس بمنزلة اداة الصانع في دكانه ٠ وان النفس بكل عضو من اعضاء الجسد تظهر ضرورة من الافعال وفتونا من الاعمال ٠ كما ان الصانع يعمل ضرورة من الاعمال وفنونا من الحركات : كالنجار فانه ينحت في الفأس وينشر بالمنشار وينقب بالملثب ويرد بالبرد وينقر بالمنقار ٠ وهكذا الحداد فانه ينفع بالمنفاخ ويطرق بالمطرقة ٠ وعلى هذاقياس سائر الصناع ٠ كل واحد منهم يعمل بأدوات مختلفة اعمالاً مختلفة وحركات متباعدة ٠ فهكذا حال النفس : تبصر بالعينين وتسمع بالاذنين وتشم بالحنرخين وتذوق باللسان وتتكلم بالشفتين واللسان وتمس باليدين وتعمل الصنائع بالاصابع وتمشي بالرجلين وترث على الركبتين ٠٠ وتنام على الجنين وتستند بالظهر وتحمل الانتقال على الكتفين ٠٠٠ وبالجملة ما من عضو في الجسد الا وللنفس فيه ضرورة من الافعال وفتون من الاعمال ٠ » لو استبدل اخوان الصفا بكلمة « النفس » - التعبير الفلسفى الغامض - كلمة « الدماغ » - عضو الحياة المقلية من وجهة النظر العلمية الحديثة - لاستوفت ملاحظاتهم الصائبة المشار إليها شروطها العلمية بالمقاييس الراهنة ٠

ويستطرد اخوان في وظائف « النفس » - او الدماغ بالتعبير العلمي السائد - فيقولون في موضع آخر من رسائلهم : « ثم اعلم ان لكل عضو من اعضاء الجسد قوة من قوى النفس مختصة بها ٠ وهي تدبر ذلك العضو وتتعل به افعالاً خلاف ما تفعل قوى اخرى في عضو آخر ٠ وان تلك القوة تسمى نفساً لذلك العضو الخالصة به ٠ مثال ذلك : القوة الباصرة فانها تسمى نفس العين ٠ والقوة السامة تسمى نفس الاذن ٠ والقوة الذائفة تسمى نفس

السان . والقوة الشامة تسمى نفس الافت . وعلى هذا القياس سائر الاعضاء  
للقوى التي تدبّرها وتفعل بها » .

ولو استبدل اخوان الصفا بمصطلح « نفس العين » و « نفس الاذن »  
الخ . مصطلح « المركز المخي البصري » و « المركز المخي السمعي » الخ .  
لكان رأيهم صائباً من وجهة نظر علم الدماغ المعاصر .

ويواصل اخوان الصفا بحثهم الطريف هذا في تحليل « النفس » –  
بالتعبير الفلسفـي الفـامـض – او بـتحليل « الدـمـاغ » بـالتـعبـيرـالـعـلـميـالـمـاـصـرـ –  
فيقولون : « واعلم يا أخي ان القوة المفكرة مسكنها وسط الدماغ ، وهي من  
بين هذه القوى كـالـمـلـكـ . وـسـائـرـهـاـ كالـجـنـودـ وـالـاعـوـانـ وـالـخـدـمـ وـالـرـئـيـسـةـ  
يـتـصـرـفـونـ بـأـمـرـهـاـ وـنـهـيـمـاـ فـيـمـاـ يـفـعـلـونـ فـيـأـعـضـاـءـ الـجـسـدـ مـنـ الـعـرـكـاتـ وـماـ يـظـهـرـونـ  
مـنـ الصـنـائـعـ وـالـأـعـمـالـ . وـانـ مـوـضـعـهـاـ – بـيـنـ مـوـاضـعـ سـائـرـ الـقـوـىـ – فـيـ أـشـرـفـ  
عـضـوـ مـنـ الـجـسـدـ وـاحـسـنـ مـكـانـهـ . كـمـاـ انـ دـارـ الـمـلـكـ فـيـ أـشـرـفـ مـدـيـنـةـ مـنـ  
بـلـدـانـ مـلـكـتـهـ وـفـيـ أـجـلـ مـوـضـعـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ وـفـيـ أـشـرـفـ بـقـعـةـ . وـاعـلـمـ ياـ أـخـيـ انـ  
أـفـعـالـ هـذـهـ الـقـوـىـ الـخـسـنـ أـشـرـفـ وـأـكـرـمـ مـنـ أـفـعـالـ سـائـرـ الـقـوـىـ . وـقـدـ بـيـتـاـ فـيـ  
رـسـالـةـ الـحـاسـ وـالـمـحـسـوسـ اـنـ الـقـوـةـ الـتـخـيـلـةـ – الـتـيـ مـسـكـنـهاـ مـقـدـمـ الـدـمـاغـ  
– نـسـبـتـاـ إـلـىـ الـقـوـةـ الـمـفـكـرـةـ بـمـاـ تـجـمـعـ إـلـيـهـ مـنـ اـخـبـارـ الـمـحـسـوـسـاتـ كـنـسـبـةـ  
صـاحـبـ الـغـرـيـطـةـ إـلـىـ الـمـلـكـ . وـنـسـبـةـ الـقـوـةـ الـحـافـظـةـ – الـتـيـ مـسـكـنـهاـ مـؤـخرـ  
الـدـمـاغـ – إـلـىـ الـقـوـةـ الـمـفـكـرـةـ كـنـسـبـةـ الـخـازـنـ الـحـافـظـ وـدـائـمـ الـمـلـكـ . وـنـسـبـةـ  
الـقـوـةـ النـاطـقـةـ – الـتـيـ مـجـراـهـاـ الـلـسانـ – إـلـىـ الـقـوـةـ الـمـفـكـرـةـ كـنـسـبـةـ الـحـاجـبـ  
وـالـتـرـجـمانـ إـلـىـ الـمـلـكـ . وـنـسـبـةـ الـقـوـةـ الصـانـعـةـ الـتـيـ مـجـراـهـاـ الـيـدـانـ وـالـاصـابـعـ إـلـىـ  
الـقـوـةـ الـمـفـكـرـةـ كـنـسـبـةـ الـوـزـيـرـ الـمـعـينـ فـيـ تـدـبـيرـ مـلـكـتـهـ وـالـمـاـسـاـدـ فـيـ سـيـاسـتـهـ  
لـرـعـيـتـهـ » . تلك عبارات في متنى الدقة والروعة من ناحية المحتوى او الفحوى  
بـالـمـقـايـيسـ الـعـلـمـيـةـ الـراـهـنـةـ مـنـ حـيـثـ الـاـسـاسـ . وـرـوـعـتـهـ هـذـهـ تـجـلـىـ بـأـوـضـعـ  
أـسـكـالـلـاـ اـذـاـ تـذـكـرـنـاـ اـنـهـ كـتـبـتـ قـبـلـ زـهـاءـ عـشـرـ قـوـنـ فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ لـمـ يـكـنـ

فيه «علم الدماغ» قد بدأ باستثناء ملاحظات عابرة وردت هنا وهناك تتعلق بتشريح الدماغ وفسلجهه ابداها بعض الاطباء القدامى دون ان ترافقها او تتبع عنها أية مضامين سايكولوجية . وعندى لو استبدل اخوان الصفا بمصطلحات «القوة المفكرة» و «القوة المتخيلة» و القوة الناطقة » مصطلح « الوظائف العقلية او المخية العليا » لما اختلف موقعهم عن الموقف العلمي الحديث من حيث الجوهر .

ويترسل اخوان الصفا في تحليلهم العلمي لقدرات الانسان العقلية او وظائفه المخية العليا فيقولون في مكان آخر من رسائلهم : « اعلم - وفقك الله - ان للانسان خمس قوى روحانية هي القوة المتخيلة والتفكير والحافظة والناطقة و .. وهي كالتعاونات في ادراكتها رسوم المعلومات . وذلك ان القوة المتخيلة اذا تناولت رسوم المحسوسات كلها وقبلتها في ذاتها كما يقبل الشمع نقش الفص فان من شأنها ان تناولها كلها الى القوة المفكرة من ساعتها ، فاذا غابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها بقيت تلك الرسوم مصوّرة صورة روحانية في ذاتها كما يبقى نقش الفص في الشمع المختوم مصوّراً بصور روحانية مجردة عن هيلولاتها ٠٠٠ ثم ان من شأن القوة المفكرة ان تنظر الى ذاتها وتراها معاينة وتتروى فيها وتبيّنها وتبث عن خواصها ومنافعها ومضارها ثم تؤديها الى القوة الحافظة لحفظها الى وقت التذكّار . ثم ان من شأن القوة الناطقة - التي مجرّها اللسان - اذا أرادت الإخبار عنها والأنباء عن معانيها والجواب للسائلين عن معلوماتها ألقّت لها ألفاظاً من حروف المعجم وجعلتها كالسمّات لتلك المعاني التي في ذاتها وعبرت عنها القوة السامعة من الحاضرين . وما كانت الا صوات لا تمكث في الهواء الا ريشما تأخذ السامع حظها ثم تصمّل احتالت الحكمة الإلهية بأن قيدت معاني تلك الالفاظ بصناعة الكتابة . ثم ان من شأن القوة الصانعة ان تصوغ لها من الخطوط والاشكال بالاقلام وتودعها وجوه الالواح وبطون الطوامير

ليبقى العلم مفيدة فائدة من الماضين للغابرين واثرا من الاولين للآخرين وخطابة  
من الحاضرين للغائبين » ٠

وبقصد نشوء المدركات العقلية او المفاهيم المجردة او الافكار ، وهو  
موضوع استثار بالجهد الاكبر من الدراسات الميدانية والنظرية التي اجرتها  
عالم النفس السويسري الراحل بياجيه لفترة تجاوزت نصف قرن ، كتب  
اخوان الصفا العبارات الدقيقة التالية التي لا تختلف من حيث الجوهر عما  
كتبه بياجيه نفسه الذي تفصله عنهم فترة زمنية طويلة تجاوزت الف عام :  
« واعلم يا اخي بأن الحكماء لما نظروا الى الموجودات فأول ما رأوا الاشخاص  
مثل زيد وعمرو وخالد ٠ ثم فكروا فيمن لم يروه من الناس الماضين والغابرين  
حيثما فلعلوا ان كلهم تسلّم الصورة الانسانية وان اختلفوا في صفاتهم من  
الطول والقصر والسود والبياض والسمرة ٠٠ وما شاكلها من الصفات التي  
يتاز بها بعضهم من بعض فقالوا كلهم انسان وسموا الانسان نوعا لانه جملة  
الاشخاص المتشقة في الصور المختلفة بالاعراض ٠ ثم رأوا شخصا آخر مثل  
حمار زيد واتان عمرو وجحش خالد فلعلوا ان الصورة الحمارية تشملها كلها  
فسموها أيضا نوعا ، ثم رأوا فرس زيد وحصان عمر ومهن خالد فلعلوا ان  
صورة الفرسية تشملها كلها ، فسموها أيضا نوعا وعلى هذا القياس سائر  
أشخاص الحيوانات من الانعام والسباع والطير وحيوان الماء ودواب البر كل  
جماعة منها تشملها صورة واحدة سموها نوعا ٠ ثم تفكروا في جمعها فلعلوا  
ان الحياة تشملها كلها فسموها الحيوان ٠٠ ثم نظروا الى اشخاص آخر  
كالنبات والشجر وأنواعها فلعلوا ان النمو والفتداء يشملها كلها فسموها  
النامي ٠٠ ثم رأوا اشياء آخر مثل الحجر والماء والنار والهواء والسكواكب  
وعلموا أنها كلها أجسام فسموها جنسا ٠٠ ثم أنهم وجدوا اشياء شتى تقع  
على شيء واحد لم يتغير في ذاته بل من أجل اضافته الى اشياء شتى فسموها  
جنس المضاف ٠ مثال ذلك رجل يسمى آبا وابنا وأخا وزوجا وجارا وصديقا

وشريكما وما شاكلها ٠٠ ثم إنهم وجدوا أسماءً آخر معاناتها غير مبنية ما تقدم ذكرها مثل فوق وتحت وهنها وما شاكلها من الأسماء فجمعوها وسموها جنس الآين ٠ ثم وجدوا أسماءً آخر معاناتها غير معاني ما ذكرنا مثل يوم وشهر وسنة وحين ومرة وما شاكلها من الأسماء فجمعوها كلها وسموها جنس التي ٠

وحول الاعصاب الحسية وردت في رسائل اخوان الصفا العبارات الطريفة التالية : « ينتشر من مقدم الدماغ عصبات لطيفة لينة تتصل بالحواس وتترافق هنالك وتنسج في أجزاء جرم الدماغ كنسيج العنكبوت ٠ فإذا باشرت كيفية المحسوسات من أجزاء الحواس وتغير مزاج الحواس عندها وغيرتها عن كيوياتها وصل ذلك التغير إلى تلك الاعصاب - التي في مقدم الدماغ والتي منشأها هنالك كلها - فتتجمع آثار المحسوسات كلها عند القوة التخيلية كما تجتمع رسائل أصحاب الأخبار عند صاحب الخريطة فيوصل تلك الرسائل كلها إلى حضرة الملك ٠ ثم أن الملك يقرأها ويفهم معاناتها ثم يسلمها إلى خازنه ليحفظها ٠ فيحفظها إلى وقت الحاجة إليها ٠ فهكذا حكم القوة التخيلية إذا اجتمعت عند آثار هذه المحسوسات التي أذلت إليها القوة الحساسة دفعتها القوة الحساسة دفعتها إلى القوة المفكرة التي مسكنها وسط الدماغ لتتظر فيها وترى معاناتها وتعرف حقائقها ومضارها ومنافعها ثم تؤديها إلى القوة الحافظة لحفظها إلى وقت التذكاري ٠

لا شك عندي في أن ملاحظات اخوان الصفا المار ذكرها هي من حيث الأساس ملاحظات صائية وعميقة بالمقاييس العلمية الراهنة ٠ وهي بنظرنا أدق من الملاحظات التي ابدأها الفيلسوف الفرنسي [ عالم الفلسفة والرياضيات أيضا ] ديكارت ( ١٥٩٦ - ١٦٥٠ ) الذي جاء من بعدهم بما لا يقل عن ستة قرون ٠ وعندني - اذا كان لي عند كما يقول الجاحظ - ان ديكارت لو اطلع على ملاحظات اخوان الصفا لتجنب ارتكاب اخطاء شنيعة في عالم الفلسفة

بقيت مسلماً بها الى القرن التاسع عشر عندما فندتها بشكل مختبرى عالم الفسلجة الالماني مولر [ ١٨٥٨ - ١٨٨٠ ] وعالم الفسلجة الاسكتلندي مارشان هول [ ١٧٩٠ - ١٨٥٩ ]

و حول الخيال من حيث طبيعته و تشوؤه [ أو القوة المتخيلة حسب تعبيرهم ] كتب اخوان الصفا العبارات الممتعة الآتية [ السليمة من حيث الجوهر من الناحية العلمية الحديثة ] : « فرييد ان نذكر طرفاً – في هذا الفصل – من احوال القوة المتخيلة التي مسكنها الدماغ اذ كانت التالية للقوى الحساسة في تناولها رسوم المحسوسات منها . ونذكر أيضاً بعض الاسباب المعينة على افعالها والمعوقة عن ذلك . ونذكر تفاوت درجات الناس في هذه القوة ، اذ كان ذلك أحد أسباب اختلافهم في العلوم والمعارف .. ولكن من أجل ان هذه أكثر القوى الحساسة متخيلات وأعجوبها أعلاً احتجنا ان نذكر علة ذلك فنقول: لهذه القوة خواص عجيبة وأفعال ظريفة . فمنها : تناولهما رسوم سائر المحسوسات جميعاً وتخيلها بعد غيبة المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها . ومنها أيضاً انها تخيل أو تتوهم ما حقيقة له وما لا حقيقة له .. مثال ذلك ان الانسان ييكله أن يتخيّل بهذه القوة جيلاً على رأس نخلة أو نخلة نابتة على رأس جمل أو طائر الاربع قوائم أو فرساً له جناحان أو حماراً له رأس انسان وما شاكل ذلك مما يعمله المصورون والنقاشون من الصور المنسوبة الى الجن والشياطين وعجائب البحر مما له حقيقة وما لا حقيقة له ..

ومن خاصة هذه القوة انها تعجز عن تخيل شيء لم تؤد اليه حامة من الحواس » . و حول الفروق الفردية بين الناس في الخيال كتب اخوان الصفا : « اعلم ان الناس – في هذه القوة – متفاوتون الدرجات تفاوتاً بعيداً جداً والدليل عليك أنك تجد كثيراً من الصبيان يكون اسرع تصوراً لما يسمعون وأجود تخيلات لما يصف لهم كثيراً من الشايخ والبالغين . وذلك ان كثيراً من

العلماء والعقلاة والمرتاضين في العلوم والأداب تعجز نقوسهم عن تصوّر اشياء كثيرة وقد قامت الحجة والبراهين على صحتها ٠

وبصدق التفكير [ القوة المفكرة ] ووحدة عمل الدماغ أو ترابط الوظائف المخية العليا وأثارها المتبدلة [ وهو مبدأ علمي سليم في الوقت الحاضر ] كتب اخوان الصفا العبارات الآتية ذات المحتوى السليم من حيث الاساس : « اعلم ان للقوة المفكرة خواص كثيرة وافعلا عجيبة تستترق فيها افعال القوة المتخيلة وافعالسائر القوى الحساسة الدركـة ٠ وذلك ان افعال هذه القوة نوعان : فنـها ما يخصها بمجـدها ومنـها ما تـشـركـ فيـهـ معـ قـوـةـ أـخـرىـ منـ قـوـةـ النـفـسـ .ـ فـمـنـ ذـلـكـ الصـنـاعـيـ فـانـ اـكـثـرـهاـ اـفـعـالـ مـشـتـرـكـةـ بـيـنـ هـذـهـ القـوـةـ المـفـكـرـةـ -ـ الـتـيـ آـلـتـهاـ وـسـطـ الدـمـاغـ -ـ وـبـيـنـ القـوـةـ الصـنـاعـيـةـ الـتـيـ آـلـتـهاـ الـيدـانـ ٠ـ وـمـنـهاـ الـكـلـامـ وـالـأـقاـوـيلـ وـالـلـفـاتـ أـجـمـعـ فـانـهاـ أـفـعـالـ مـشـتـرـكـةـ بـيـنـ هـذـهـ القـوـةـ وـبـيـنـ القـوـةـ النـاطـقـةـ الـتـيـ آـلـتـهاـ الـلـسانـ ٠ـ وـمـنـهاـ تـنـاـولـ رـسـومـ الـمـحـفـوظـةـ فـانـهاـ مـشـتـرـكـةـ بـيـنـ هـذـهـ وـبـيـنـ القـوـةـ الـحـافـظـةـ الـتـيـ آـلـتـهاـ مـؤـخرـ الـدـمـاغـ ٠ـ وـأـمـاـ الـأـفـعـالـ الـتـيـ تـخـصـهاـ بـمـجـدـهـ فـيـ الـفـكـرـ وـالـرـوـيـةـ وـالـتـيـزـ وـالـتـصـورـ وـالـاعـتـبـارـ وـالـتـرـكـيبـ وـالـتـحـلـيلـ وـالـجـمـعـ وـالـقـيـاسـ وـالـبـرهـانـ ٠٠ـ فـاـمـاـ فـضـائـلـ هـذـهـ القـوـةـ وـقـصـاـيـاـهـاـ عـلـىـ مـاـ بـيـنـ هـنـاـ وـذـلـكـ انـ هـذـهـ القـوـةـ المـفـكـرـةـ مـنـ بـيـنـ سـائـرـ القـوـةـ الـحـسـاسـةـ وـالـمـتـخـيـلـةـ وـمـدـرـكـاتـهاـ كـالـقـاضـيـ بـيـنـ الـخـصـمـاءـ وـدـعـاـيـهـ ٠ـ »

و حول تدرج المعرفة عند الطفل و سيره من المحسوس الى المجرد وهو مبدأ سايكولوجي سليم كتب اخوان الصفا : « و اعلم ان فهم القراءة والكتابة ومعرفتها متأخرة عن فهم الكلام والاقاویل . كما ان فهم الكلام والاقاویل ومعرفتها انما هي متأخرة عن فهم المحسوسات كما هو بيـنـ لاـ يـخـفـيـ عـلـىـ الـعـقـلـاءـ ،ـ وـذـلـكـ آـنـ الطـفـلـ اـذـ خـرـجـ مـنـ الرـحـمـ فـانـهـ فيـ الـوقـتـ وـالـسـاعـةـ تـدرـكـ

حواسه محسوساتها فيحسن بالقوة اللامسة الخشونة واللين وبالقوة الباصرة النور والضياء وبالقوة الدائقة طعم اللبن وبالقوة الشامة الروائح وبالقوة السامعة الاصوات . ولكنه لا يعلم معانى الكلام والاصوات الا بعد حين .. ثم شيئا فشيئا على التدريج وعلى هذا المثال فهمه ومعرفته بسائر الحواس ومحسوساتها الى ان تم سن التربية ويُغلق باب الرضاع ويُفتح الكلام والنطق . ثم بعد ذلك تجيء أيام الكتابة القراءة والأداب والصناعات والرياضيات » .

وبقصد العلاقة بين اللغة والفكر [ وهو موضوع استثار بجهود فئة من ابرز علماء النفس المعاصرين وبخاصة في الاتحاد السوفيتي ] كتب اخوان الصفا العبارات الدقيقة التالية : « اعلم ان من شأن القوة الناطقة اذا استعانت بها القوة المفكرة في نيابة عنها في الجواب والخطاب ان تؤلف الفاظا من حروف المجم بمنiacات مختلفة السمات التي هي الكلام . ثم تضمن تلك الالفاظ المعاني التي هي مصوّرة عند القوة المفكرة . فتدفعها عند ذلك الى القوة المعبّرة لتخرجها الى الهواء بالاصوات المختلفة في اللغات لتحملها الى مسامع العاضرين بالقرب . فتكون تلك الالفاظ من العروض المختلفة الاشكال والسمات كالاجسام المركبة من الاعضاء المختلفة وتكون تلك المعاني المضمنة في تلك الالفاظ كالارواح لها لاز كل لفظة لا معنى لها فهي بمنزلة جسد لا روح فيه او كل معنى في فكر النفس ليس له لفظة تُعبّر عنه فهو بمنزلة روح لاجسد له » .

لو استبدل اخوان الصفا بمصطلح « القوة الناطقة » و « القوة المعبّرة » مصطلح « جهاز الصوت » لما اختلف رأيهم في قضية العلاقة بين اللغة والفكر عن الرأي العلمي الحديث الذي يقترب باسم عالم النفس السوفيتي فيكتور زكي ( ١٨٩٦ - ١٩٣٤ ) : كتب فيكتور زكي في كتابه الذي ترجمة عنوانه « الفكر واللغة » العبارات التالية :

« يعبّر عن الكلمة عن رابطة التلامم العضوي بين الفكر والرموز الذي تشير اليه تلفظاً وبالكتابة لأن المعنى ظاهرة لغوية وفكرية في آنٍ فالصوت المنطوق به دون معنى هو صوت أجوف مبهم أو أعمق لا يدخل في حيز اللغة . وكذا الحال في الرمز المكتوب . فالمعنى من هذه الزاوية ظاهرة لغوية تعبّر عن الصور الذهنية على هيئة تعريف وتمييم تحملها الأصوات والرموز المكتوبة . فهو من هذه الناحية عملية فكرية دون منازع . معنى هذا أن الصوت أو الاشارة المكتوبة ظاهرة فكرية اذا نظرنا الى الكلمة من ناحية كونها اداة التعبير تحدثاً وبالكتابة التي تحمل ذلك المعنى الذي لولاه لما اعتبر ذلك الصوت وتلك الاشارة المكتوبة ضمن حدود اللغة . اما الكلمة من حيث هي رسم مكتوب أو صوت منطوق به فهي ظاهرة لغوية اذا نظرنا اليها من حيث كونها اداة الاجتماعية التي تحمل الفكر وتجسّده وتوضّحه وتنقله بين الناس .

فالكلمة اذن كيان واحد متماسك فكري وأداة في الوقت نفسه تعبّر عن الفكر على هيئة صوت أو رمز مكتوب . وهذا هو جوهر اللغة » .

ونود أن نختتم هذا الجانب من جوانب الموضوع بالعبارات الطريفة والدقيقة التالية المتعلقة باقتصار اللغة — بمعنى الذي مرت الاشارة اليه — على الانسان وحده دون سائر الحيوانات . كتب اخوان الصفا :

« اعلم يا اخي ان الكلام هو صوت بعرف متققطعة دالة على معانٍ مفهومة من مخارج مختلفة . ثم اعلم ان الكلام الدال على المعانٍ مخصوص به عالم الانسان وهو النطق التام بأي حرف كتب . والحيوان لا يشرك الانسان فيه من الجهات المنطقية والعبارات اللغوistic لكن من جهة العركة الحيوانية والآلية الجسمانية ، وال الحاجة فيها الى ذلك ، لانك تجد كثيرا من الحيوانات تريد بأصواتها دفع المضار وجذب المنافع تارة لانفسها وتارة لأولادها » .

### **الفصل الثالث**

## **نماذج اصيلة من التراث ذات مضامين تربوية مهمة**

سوف نعرض – في هذا الفصل – نماذج مختارة من كتب الادب تتعلق بمواصف ذات مضامين تربوية مهمة . وقد تحاولنا تحليلها أو التعليق عليها لوضوحاها . وهي مستمدة في الاصل من كتاب البيان والبيان للجاحظ وكتاب الامالي للقالي وكتاب الامالي للبيزيدي واماali الشريف المرتضى وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وزهـر الاداب للقيروانى وكتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ونشوار المحاضرة للتنوخي أيضا .

وقد انقسمت تلك النماذج منطقيا الى الاقسام التالية :

أولا — العلاقات الودية التي تتخطى اختلاف الرأي .

ثانيا — مواقف تثير الاعجاب .

ثالثا — قول الحق في الواقع الحرج .

رابعا — « جدلية » أو دياlectiek ظواهر الاجتماعية .

خامسا — الانهماك في الدراسة بشكل منقطع النظير .

## اولاً - العلاقات الودية التي تتخطى اختلاف الرأي :

لا شك في أن اختلاف الرأي – في القضايا الفكرية الجوهرية – كثيراً ما يؤدي إلى النفرة والقطيعة وربما يورث العداوة والبغضاء بين الصديقين الحميمين . ومن النادر جداً أن يحصل خلاف ذلك . ومن هذا النادر الطريف ما رواه الجاحظ في كتاب البيان والتبيان عندما قال : « لم ير الناس أحب من الكثيّت والطّرّامح : كان الكميّت عدناً عصيّاً ، وكان الطّرّامح قحطانياً عصيّاً . وكان الكميّت شيعيّاً من الفالية . وكان الطّرّامح خارجيّاً من الصّفريّة . وكان الكميّت يتعرّض لأهل الكوفة . وكان الطّرّامح يتعرّض لأهل الشّام . وبينهما – مع ذلك – من الخاصّة والمختالطة ما لم يكن بين تقسين قطّ . ثم لم يجرِ بينهما صرّم ولا نفرة ولا اعراض ولا شيء مما تدعى هذه الخصال إليه . ولم ير الناس مثلهما الا ما ذكروا في حال عبد الله الأباشي وهشام بن الحكم الرافضي : فانهما صارا إلى المشاركة والى الخلطة والمصاحبة » .

## ثانياً - مواقف تشير إلى الاعجاب :

- ١ -

جلس المأمون يوماً وقد حضر الناس . فأمر علي بن صالح بإدخال اسماعيل بن موسى . فلطف علي بن صالح ودخل اسماعيل بن جعفر وكان المأمون من أشد الناس بغضّاً له . فلما رأه اطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال هاتِ حوائجك . فقال ضيعي بالفتنة تهْرِّبْتَها وغَصَّبْتَ عليها . فأمر المأمون بردها عليه . ثم قال : ودين لحقني في جفوة أمير المؤمنين ايابي . فأمر المأمون بقضاء دينه .

- ٢ -

دخل رجل على المهدى فقال يا أمير المؤمنين ان أمير المؤمنين المنصور  
شتني .. لكوني شتمت عدوه بحضرته . . . قال المهدى : ومن عدوه الذي  
غضب لشتمه ؟ قال ابراهيم بن عبدالله بن الحسن . قال المهدى ان ابراهيم  
امس به رحما وأوجب عليه حقا . فان كان شتمك - كما زعمت - فعن  
رحمه ذب وعنه عرضه دافع . وما اساء من انتصر لابن عمه . قال الرجل  
ولكته كان عدوا له . قال المهدى : فلم ينتصر للعداوة وانما انتصر للرحم .  
فسكت الرجل . ثم قال المهدى : لعلك اردت امرا فلم تجد ذريعة عندك أبلغ  
من هذه الدعوى » .

- ٣ -

ذكر ان الرشيد أحب ان ينظر الى شعيب القلائل كيف يعمل القلال ،  
فأدخلوه القصر وأتوه بكل ما يحتاج اليه من آلة العمل . وبينما هو يعمل اذا  
هو بالرشيد قائم على رأسه . فلما رأه نهض قائما . فقال له الرشيد : دونك  
ما دعست له فاتني لم آتاك لتقوم لي . وانما أتيتك ل تعمل بين يدي . فقال  
شعيب : وأنا لم آتاك ليسو أدبي وانما أتيتك لازداد بك في كثرة صوابي .

- ٤ -

من طريف ما يروى عن نصيب الشاعر انه دخل على عبد الملك بن مروان  
فعاده عبد الملك على قلة زيارته له وإتيانه اليه . فقال نصيب : يا أمير المؤمنين  
أنا عبد أسود ولست من معاشرى الملك . فدعاه الى النبيذ ، فقال : يا أمير  
المؤمنين أنا أسود البشرة قبيح النظر وانما وصلت الى مجلس امير المؤمنين  
بعقلي . فان رأى أمير المؤمنين لا يدخل عليه ما يزيله فعل . فأغفاه ووصله .

وذكر الرواية أيضاً أن رجلا دخل على عبد الملك بن مروان فقال : هل من خلوة ؟ فأقبل عبد الملك على أصحابه وقال : اذا شئت ! فقاموا . فقال له عبد الملك : اسمع ، لا تمدحني في وجهي فإني أعرف بنفسي منك . ولا تكذبني فليس لكذوب رأي ولا تسعين بأحد إلي . فقال الرجل : أأنصرف ؟ فقال اذا شئت . فانصرف .

- ٥ -

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين أن رجلا وقف على عامر الشعبي فلم يدع قبيعا إلا رماه به . فقال له عامر : إنْ كنْتَ كاذبًا فنفر الله لك . وإنْ كنْتَ صادقاً فنفر الله لي . وهذه الحادثة الطريفة شبيهة بحادثة أخرى ذكرها الجاحظ أيضاً مفادها : أن السيد المسيح مرّ ببعض الناس فشتموه . ثم مرّ بآخرين فشتموه . فكان كلما قالوا له شراً قال لهم خيراً . فقال له رجل من الحواريين : كلما زادوك شراً زدتهم خيراً ! حتى كأنك تغريهم في نفسك وتحشّم على شتمك !!! قال : « كل انسان يعطي ما عنده . وليس في اوعيتك إلا الخير » . وقد يبدأ قيل « وكل انة بالذى فيه ينفع » .

- ٦ -

وذكر الرواية ان اعرابياً قال لسليمان إني اكلمك بكلام فاحتمله فإن وراءه – ان فهمته – ما تعبه . قال هاته . قال انه قد اكتفتك رجال اساواوا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياكم بدينهم . ورضاك بسخط ربهم . وخافوك في الله ولم يخافوا الله فيك . وانت مسؤول عما اجرموا وليسوا مسؤولين عما اجرمت . فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك . ورحم الله من قال : شر الناس من باع آخرته بدنياه . وشر منه من باع آخرته بدنيا غيره .

- ٧ -

وعندما قبض على الجاحظ متخفيا في البصرة بعد مقتل الوزير محمد بن عبد الملك الزيارات (كيلا يصبح - بتعبيره - ثانى اثنين اذ هما في التور )

وجيء به الى بغداد مقيدا امام القاضي احمد بن ابي دؤاد - خصم ابن الزيات - قال له القاضي : « والله ما علمتك الا متناسيا للنعمة كفورا للصناعة معددا للمساويء . . . والايام لا تصلح منك لفساد طبعك ورداءة داخلك وسوء اختيارك »

فقال الجاحظ : « خفف عليك - ايدك الله - فوالله لاز يكون لك الامر علي خير من يكون لي عليك ، ولاز أسيء وتحسن أحسن لك من ان احسن وتسيء . . . وان تغفر عنني - في حال قدرتك - أجمل من الاتقام مني »

قال ابن أبي دؤاد « قبحك الله ما علمتك الا كثير ترويق الكلام . . . ما تأوليل هذه الآية : وكذلك اخذ ربك اذ اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه أليم شديد »

قال الجاحظ :

تلاؤتها تأويلها أعز الله القاضي .

- ٩ -

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين عن ابي بكر المذلي انه قال : كنا عند الحسن البصري اذ اقبل وكيع بن ابي الاسود . . . فقال للحسن يا ابا سعيد ما تقول في دم البراغيث تصيب الثوب ايصلى فيه ؟ فقال الحسن : ياعجبا من ولع في دماء المسلمين كأنه كلب ثم يسأل عن دم البراغيث »

- ١٠ -

وذكر ايضا ان احد الخلفاء خطب في الناس يوما وذكر انه لم يصبهم

طاعون منذ ان تولى الخليفة قبل ثلاث سنوات وطلب منهم ان يشكروا الله على ذلك ، فقام له اعرابي من بين الحاضرين وقال : ان الله ارأف بعده من اذ يجمعك والطاعون علينا .

- ١١ -

عزل الوليد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الله عن الاردن وضرره وقال للموكلين به من اتاه متوجعا واثني عليه فأتوني به . فاتاه عدي بن الرقان — الشاعر — وكان عبيدة محسنا اليه فوقت عليه وانتشا يقول من قصيدة :  
وما عزلوك مسبوقا ولكن الى الغايات سباقا جوادا

فوئب الموكلون به فادخلوا عدي الى الوليد وخبروه بما جرى فتيغط عليه الوليد وقال : أتمدح رجلا قد فعلنا به ما فعلنا ؟ قال يا أمير المؤمنين انه كان الي محسنا وللي مؤثرا فقي اي وقت كنت اكافه بعد هذا اليوم ؟

- ١٢ -

كان الاشين مبغضا لابي دلف القاسم بن عيسى العجمي . فحمل قسمه يوما على قتله واستدعاه باستحثاث وازعاج . وكان ابو دلف صديقا لقاضي القضاة احمد ابن ابي دؤاد . فبعث اليه ادركتي فمن امري كذا وكذا . فوئب ابن ابي دؤاد مسرعا واستحضر من حضره من الشهود . فلما وصل باب الاشين قال له القلمان فستان لك ؟ قال الان اعجل من ذلك ونزل ودخل فالفي الاشين جالسا في موضعه وقد اقيم ابو دلف بين يديه في الصحن . فلما رأى الاشين قاضي القضاة دخل بلا اذن بعث . فقال له احمد بن ابي دؤاد : ايها الامير انا رسول امير المؤمنين اليك يأمرك ان لا تحدث في امر القاسم حدثا الا بأذنه . ثم التفت الى الشهود فقال اشهدوا اني قد بلغت رسالة امير المؤمنين والقاسم حي معافى . ثم خرج فاتى باب المعتصم مسرعا واستاذن

عليه فأذن له . فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين قد كذبت عليك واحدة ارجو  
بها الجنة وذلك بها الفخر .

قال ما هي ؟ قال كان من الامر كيت وكيت . فضحك المعتصم وقال  
احسن احسن الله اليك .

- ١٢ -

قال الاشعري بعث الى الرشيد في وقت لم تكن عادته ان يستدعيني في  
مثله . وجاءني الرسول بوجه منكر فأحضرني احضاراً عنيناً مستعجلًا . فوجلت  
وجلاً شديداً . وخفت . وجزعت . فدخلت فسلمت فلم يردد علي ولا رفع رأسه  
الى . فقلت سعي لي عنده بياطل يملكتني قبل كشفه وآتيت من العيادة .  
فرفع رأسه وقال : يا اشعري الا ترى الداعي بن الداعي ابن اليهودية مروان بن  
ابي حفصة يعرض بقوله لمن بن زائدة : وان هو الا عبد من عبيتنا :

أقمنا باليمامة بعد معن  
مقاما لا نزيد به زيالا

وقلنا اين نذهب بعد معن  
وقد ذهب النوال فلا نسوا لا

وكان الناس كلهم لمن  
الى ان زار حفرته عيالا

قال الاشعري فقلت يا أمير المؤمنين هو أحد عبيتك انت اولى بادبه او  
العنوه . فقال علي بعروان . فدخل عليه .

فقال الرشيد : السياط . فأخذ الخدم يضربونه بها . وهو يصبح يا أمير  
المؤمنين ما ذنبي ؟ يا أمير المؤمنين استيقني . الى ان ضرب اكثر من مائة

سوط . فقال يا امير المؤمنين اعف عنى . وانظر قولي فيك وفي آبائك . فقال  
الرشيد يا غلام كف عنه . فأنشده قصيدة التي يقول فيها .

هل تطمرون من السماء نجومها  
بأكمام ام تسترون هلالها  
ام تدفعون مقالة عن ربها  
جبريل بلغها النبي ف قال لها  
شهدت مع الانفال آخر آية  
ترانهم فأردمتم ابطالها  
فدعوا الاسود خوادرا في غيلها  
لا تولفن دماءكم اشبالها  
فامر باطلاقه وان يدفع اليه ثلاثون الف درهم .

- ١٤ -

قيل لعبدالملك بن مروان - وهو يحارب مصعبا - ان مصعبا قد شرب  
الخمر . فقال عبد الملك والله لو علم مصعب ان الماء ينقص من مروءته ما رُويَ  
منه .

- ١٥ -

ومن الواقع التي تثير الاعجاب موقف ذات النطاقين السيدة اسماء بنت ابي  
بكر من ولدها عبدالله بن الزير وهو موقف مشهور ومتداول خلاصته : ان  
عبد الله هذا الذي شهد حرب الجمل مع ابيه وخالته ام المؤمنين والذي كان  
لتحريضه اثر كبير في خروجهما الى البصرة بوضع له بالخلافة عام ٦٤ او ٦٥  
للهجرة بعد وفاة معاوية بن يزيد بن معاوية وقتل عبدالله وهو في عامه الثاني  
او الثالث والسبعين ايام عبد الملك بن مروان وصلب بمكة بعد قتله في اعقاب  
حصار الحجاج له في مكة زهاء ستة اشهر وسبعة عشر يوما . ولم يقم  
فريد في بايه ذو جانبي احدهما قبل قتله والاخر وهو مصلوب .

دخل ابن الزير على امه - قبل مقتله بعشرة ايام - يعودها اثناء مرض  
اليم بها وقد طعنت في السن وفقدت بصرها فقال لها : ان في الموت لراحة .

فقالت « لملك تمنيته لي !!! » وما احب ان اموت حتى تأتي علي احسدي حالتيك : اما قلت فاحسبك واما ظفرت بعذوك فقررت عيني بك ٠ ٠ ٠ فمضى لسيله ٠ ثم دخل عليها المسجد صبيحة اليوم الذي قتل فيه بعد ان خذله من معه خذلانا شديدا ومضوا يخرجون الى الحجاج ٠ وكأن من فارقه وخرج الى الحجاج ابنه خبيب وحمزة ٠ وكان قبل ذلك قد نكب بمقتل شقيقه مصعب امير العراقيين الذي دحر جيوش عبد الملك بن مروان مرتين واعيشه امره ٠ فسار اليه عبد الملك بنفسه حتى اذا كان بمسكن من ارض العراق تقاعس بمصعب اصحابه وقواده وخذلوه ٠ فقال لابنه الحق بمكة فانج بنفسك واخبر عمك عبدالله بما صنع لي اهل العراق ودعني فاني مقتول ٠

فأبى وقاتل دونه حتى قتل ٠ وعندما دخل مصعب على زوجه سكينة بنت الحسين وهو محضن سيفه قالت أنت غير راجع وصاحت واحزفاه عليك يا مصعب !! فالتفت اليها وقال : ان كل هذا في قلبك !!! قالت وما خفسي أكثر ٠ قال : لو كنت اعلم هذا لكان لي ولك شأن ٠ ثم خرج فلم يرجع ٠

اقول : عندما دخل عبدالله على امه صبيحة اليوم الذي قتل فيه فقال لها « خذلني الناس حتى ولدي واهلي ٠ والقوم يعطونني ما اردت من الدنيا ٠ فما رأيك » ؟ فقالت « انت يا بني اعلم بنفسك : ان كنت تعلم انك على حق واليه تنسع فامض عليه فقد قتلت عليه اصحابك ٠ ولا تتمكن من رقبتك يتلعب بها غلامان بني امية ٠ وان كنت انا اردت الدنيا فبئس العبد انت ٠ اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك ٠ وان قلت قد كنت على حق فلما رهن اصحابي وهنت فليس هذا فعل الاحرار واهل الدين ٠ وكم خلودك في الدنيا ؟ القتل احسن ٠ »

فدنا ابن الزبير منها فقبل رأسها وقال « هذا والله رأيي الذي قمت به داعيا الى يومي هذا ٠ لكنني احببت ان اعلم رأيك ٠ فزدتيك بصيرة مع

بصيري . فأنظري فاني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك . »  
فقالت « يكون عزائي فيك حسنا ان فقدتني فلا اخرج من الدنيا حتى اتظر  
ما يصير امرك . »

اما الموقف بعد صلبه فهو كما قال يعلي بن حرملة دخلت مكة — بعد قتل  
ابن الزبير ثلاثة ايام — اذا هو مصلوب — فجاءت امه اسماء بنت ابي بكر  
وكان امرأة عجوز طولية مكفوفة البصر فقالت للحجاج : اما آن لهذا الراكب  
ان ينزل !!! وروى سعيد بن عامر العاز عن ابي ملكية : قال كنت الاذن لمن  
بشر اسماء بنزول ابنا عبدالله عن الخشبة . فأمرتني بعسله . ثم قامت فصلت  
عليه . وقد كانت تقول : اللهم لا تمتني حتى تفر عيني بدهنه . » فلما دفته لم  
تمض عليها جمعة حتى ماتت .

- ١٦ -

ذكر الرواية ان ابا جعفر المنصور ضم رجلا يقال له فضيل بن عمارة ان  
الковفي الى جعفر ابنته يكتب له ويقوم بامرها . فشق فضيل على حاشية جعفر  
فاوغرت صدر المنصور على فضيل فأمر بقتله . واتصل خبر قتيله بجعفر . فطلب  
الذى قتل فضيل . فلما جيء قال له ويلك ما يقول امير المؤمنين في قتل رجل  
مسلم بغیر جرم ؟ فقال الرئيان هو امير المؤمنين يفعل ما يشاء . فغضب جعفر  
وقال له :

اكمل بـكلام الخاصة فتكلمني بكلام العامة !!! وامر غلامه بجرمه  
والقائه في دجلة . »

- ١٧ -

ذكر منارة — خادم الخلفاء — انه رفع الى هرون الرشيد ان رجلا  
بدمشق من بقایا بنی امية عظيم الجاه واسع الدنيا كثير المال والاملاك مطاعا  
في البلد . فعظم ذلك على الرشيد . فدعاني فقال لي : دعوتك لامر اهنتي

وقد منعني النوم . فانظر كيف تكون ؟ ثم قص علي خبر الاموي وقال اخرج الساعة . وهذه قيود وقد ضَمِّمتُ اليك مئة غلام . فادخلوا بادأ بالرجل . فان سمع واطاع فقيده وجئني به . والا فتوكل به انت ومن معك حتى لا يهرب وانهذ الكتاب الى امير دمشق . وهذا محمل تجعله اذا قيدته في شففة . وتجلس انت في الشق الآخر ولا تكل حفظه الى غيرك . واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف بجميع الفاظه منذ وقوع طرفك عليه الى ان تأتيني به قال منارة : فودعته وخرجت الى ان دخلت دمشق حتى أتيت بباب دار الرجل دخلت بغیر اذن فرأيت شيخا قد اقبل يمشي في الصحن فعلمت انه الرجل . فجاء حتى جلس وسلم علي سلاما خفيفا وسألني عن امير المؤمنين ثم قال ما اقدمك يا منارة ؟ فقلت امر لك من امير المؤمنين . وانخرجت الكتاب فدفعته اليه . فقضه وقرأه . ثم قال هذا كتاب امير المؤمنين يأمرني بالسير اليه . ولست اقيم بعد ظري فيه لحظة واحدة . هات أقيادك يا منارة فدعوت بها ومد ساقيه فقيدته وأمرت غلاني بحمله حتى حمل في المحمل . و كنت في الشق الآخر . فابتداً يحدثني بانبساط . قلت :

الست تعلم ان امير المؤمنين قد اهمه امرك حتى ارسل اليك من انتزعك من بين اهلك وولدك ومالك وآخر جك عن جميع حالك وحيدا فريدا مقيدا . وانت مع هذا فارغ القلب . فقال : انا لله وانا اليه راجعون . اخطلت فراستي فراستي فيك يا منارة . قدرتك رجلا كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء هذا محل الا بعد أن عرفوك بذلك . فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهم . فالله المستعان .

اما قولك في امير المؤمنين وازعاجه لي من داري واخراجه ايدي الى بابه على هذه الصورة فأنا على ثقة بالله عز وجل الذي يهدى ناصية امير المؤمنين . فلا يملك معه نفسه ولغيره ضررا ولا نفعا الا بأذن الله ومشيئته . ولا ذنب لي عن امير المؤمنين اخافه . قال منارة ثم اعرض عني فما سمعت

لقطة حتى شارفنا الكوفة . فدخلت على الرشيد وسقت اليه الحديث من اوله  
فقال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه . ولقد  
آذيناه فبادر بنزع قيوده عنه وائتني به . وأقبل عليه الرشيد ثم قال له بلغنا  
عنك فضل همة وامور اجتنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر  
اسم حوائجك . قال يا امير المؤمنين تردني الى بلدك واهلي وولدي . فقال  
له الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك . فلما ولی خارجا قال الرشيد يا منارة  
احمله من وقتك وسر به راجعا كما اتيت به حتى اذا اوصلته الى المجلس  
الذى اخذته منه فارجع وخله .

- ١٨ -

طالب المعتقد ابا العباس بسطام بعجز ضمانه واسط وجسه في دار ابن  
ظاهر ائزمه سبعين الف دينار يؤدتها . فكتب النوشجاني صاحب الخبر في  
ابي العباس انه كان يفترق في ايام ولايته في كل شهر حنطة ودقيقا على  
المستورين والقراء ومع ذلك فانه يباطل باداء ما عليه . فلما بلغ المعتقد  
الخبر قال قد سري هذا لان ابن بسطام رجل مشهور بعظم الروءة وكثرة  
المعروف وقد جعلنا بما قد فعل . فعفا عنه ورد له الى عمله .

- ١٩ -

ذكر الرواة ان رجلين - احدهما من ولد جابر بن عبد الله الانصاري  
والآخر من ثقيف - خرجا من المدينة يربدآن عبد الله بن عامر امير العراق  
لعمان بن عفان . فاقبلا يسيران حتى اذا كانا بناحية البصرة قال الانصاري  
للثقة نبيخ رواحلنا ونصلي ركعتين نحمد الله فيما على ما قضى في  
سفرنا . قال الثقة نعم . ففعلا . ثم التفت الانصاري الى الثقة فقال له :  
يا آخا ثقيف ما رأيك ؟ قال الثقة واي موضع رأي هذا ؟ امضيت سفري  
وأنضمت بدني وأتعبت راحتني ولا مؤجل دون ابن عامر . فهل لك رأي غير

هذا ؟ قال نعم . انتي لما صليت فكرت فاستحييت من ربى اذ يراني طالب  
رزق من عند غيره . ثم ولى راجعا الى المدينة .

- ٢٠ -

قال احمد بن عطية سمعت ابا عبيد يقول :

كنا – مع محمد بن الحسن – اذ اقبل الرشيد فقام اليه الناس كلهم  
الا محمد بن الحسن فانه لم يقم . وكان الحسن بن زياد ثقيل القلب ممتلىء  
الحقد على محمد بن الحسن . فقام – ودخل الناس من اصحاب الخليفة –  
فامهل الرشيد يسيرا ثم خرج الاذن فقال محمد بن الحسن فجزع اصحابه  
له . فأدخل في مهل ثم خرج طيب النفس مسرورا . فقال : قال لي ما لك لم  
تقم مع الناس ؟

قلت : كرهت ان اخرج عن الطبقة التي جعلتني فيها . انت اهلتني للعلم  
فكرهت ان اخرج عنه الى طبقة الخدمة التي هي خارجة عنه . فقال : صدقتك  
يا محمد .

- ٢١ -

من طريف ما يروى عن اسحق الموصلي انه قال كنت بين يدي المؤمن  
فائما فدخل ابن البواب الحاجب برقة فيها ايات فقال للمؤمن اتأذن يا امير  
المؤمنين في انشادها ؟ قال المؤمن هات فأنشد :

أجزني فأني قد ضَمِّنْتُ الْوَعْدَ  
مَتَى يُنْجِزُ الْوَعْدَ الْمُؤْكَدُ بِالْعَهْدِ

أعيذك من خِلْفِ الْمَوْكِدِ وقد ترى  
تَقْطَعَ أَهْافِسِي عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ

رأي الله عبد الله خير عباده  
فملكه والله أعلم بالعبد  
الا انما المأمون للناس عصمة  
ميزة بين الفلاة والرشد  
فقال المأمون : احسنت . وظنها له . فقال ابن الباب بل احسن قاتلها  
يا امير المؤمنين . قال ومن قاتلها ؟ قال عبدك الحسين بن الضحاك .  
فقطب المأمون وقال لا حيئا الله من ذكرت ولا ياه ولا قربه اليه هو  
القاتل — في رثاء الامين :

اعيئي جودا وابكي يا مهدا  
ولا تذخر دمعا عليه وأسعد

نلامعت الاشياء بعد مهدي  
ولازال شمل الملك فيه مبدعا

ولا فرح المأمون بالعيش بعده  
ولازال في الدنيا طريدا مشردا

هذا بذلك . ولا شيء له عندنا . فقال ابن الباب :  
فأين فضل امير المؤمنين وسعة حلمه وعادته في العنوان ؟ فأمر المأمون  
باحضاره . فلما حضر سلم . فرد عليه المأمون ردا حذينا . ثم قال اخبرني  
هل عرفت يوم قتل أخي هاشمية قلت او هتك ؟

قال لا . قال فما معنى قوله :

ومما شجا قلبي وكتمكت عبرتي  
محارم من آل النبي استثجكت

ومهوكة يا لخلد عنها سجوفها  
 كعب كفرن الشمس حين تبدت  
 اذا خفتها روعة من منازع  
 لها المرط عادت بالخصوص ورنت  
 وسرب ظباء من ذوابه هاشم  
 هتفن بدعوى خير حي ومبث  
 أرد مسدا مني اذا ما ذكرته  
 على كيد حرى وقلبي مفتت  
 فلا يأت ليل الشامتين بغيطة  
 ولا بلغت آمالها من تمنت  
 فقال الحسين بن الفضاح يا امير المؤمنين : لوعة غلبتني وروعة فاجأني  
 ونسمة فقدتها بعد أن غمرتني  
 واحسان شكرته فانطقني . فقال المأمون قد غفت عنك وامرتك لك  
 بادرار ارزاقك عليك واعطائك ما فات منها .

- ٤٤ -

قيل ان رجلا دامت عطلته فزور كتابا عن أبي الحسن علي بن محمد بن  
 الفرات - وهو وزير - الى ابي زنبور عامل مصر وخرج اليه ولقيه بها  
 فانكرها ابو زنبور فانهذ الكتب الى ابن الفرات فوصلت الكتب الى  
 ابي الحسن واصحابه بين يديه فعرفهم الصورة وقال ما الرأي في امر  
 الرجل ؟ فقال بعضهم : نقطع يده لتزويره على الوزير . وقال بعضهم يضرب  
 ويحبس ٠٠٠ فقال ابن الفرات : ما ابعد طباعكم عن العجميل !!! رجل توسل  
 بنا وتحمل المشقة الى مصر وابل بجاها الغنى فخفف عننا بان كتب لنفسه مقدر

ان به صلاحه ورحل ملتمسا للرزق . ثم ضرب يده الى الدواة وقلب الكتاب  
المزور وقع عليه بخطه :

هذا كتابي ولا اعلم لاي سبب انكرته . فأجزل عطية حامله وتابع سيره .

- ٤٣ -

ويدخل في هذا موقف اشترطه الامام علي في الوالي من الرعية [ أو  
المسؤول عن تصريف شؤون الناس وبين الشعب بالتعبير الحديث ] كما ورد  
ذلك في كتاب الامام علي بن ابي طالب للاشتر التخمي لما دلاه على مصر  
واعمالها حين اضطراب امر اميرها محمد بن ابي بكر :

« ثم اعلم — يا مالك — اني وجئتك الى بلاد جرت عليها دول قبلك  
من عدل وجور — وان الناس يتظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه  
من امور الولاية قبلك . ويقولون فيك ما كنت تقوله فيهم . وانما يستدل  
على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده . فليكن أحبت الذخائر  
الىك ذخيرة العمل الصالح . فاملك هواك وشج بنفسك عملا لا يحل اليك ..  
واشعر الرحمة للرعاية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سيفا  
ضاربا تقتلم اكلهم فأنتهم صنفان : اما اخ لك في الدين واما ظير لك في الخلق .  
يفرط منهم الزلل ٠٠٠ فأعطيهم من غفوتك وصفحك مثل الذي تحب وترضى  
ان يعطيك الله من عفوه وصفحة . فأئنك فوقهم ووالى الامر عليك فوقك  
والله فوق من ولاك ٠٠٠ ولا تندمن على عضو ولا تجنب بعقوبة ولا تسرعن  
الى بادرة وجدت عنها مندوحة ٠٠٠ انصف الله وانصف الناس من  
نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك هو فيه من رعيتك ٠٠٠ وليكن احب  
الامور اليك اوسطها في الحق واعيها واجمعها لرضا الرعية فان سخط العامة  
يمجح برضا الخاصة وان سخط الخاصة يفتقر مع رضا العامة ٠٠٠ وليكن بعد  
رعيتك منك وأشناهم عندك اطلبهم لعايب الناس فان في الناس عيوبا الوالي

أحق من سترها . فلا تكتشفن ماغاب عنك منها فان عليك تطهير ما ظهر لك  
اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وزر وتعاب عن كل  
ما يصح لك ولا تجعلن الى تصدق ساع «

- ٤٤ -

زعموا ان أبا العباس المبرد ورد الدينور زائرًا لعيسى بن ماهان . فأول  
ما دخل عليه وقضى سلامه قال له عيسى : « ايهما الشیخ ما الشاة المجنة التي  
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن آكل لحمها ؟ فقال هي الشاة القليلة  
اللبن . . . . . فقال هل من شاهد ؟ قال نعم قول الراجز :

لم يرق من آل الحُمَيْدِ نسمة  
الاعيُّز مَجْبَةً مجنة

فاما الحاجب يستأنن لابي حنيفة الدينوري . فلما دخل قال عيسى :  
ايهما الشیخ ما الشاة المجنة التي نهينا عن آكل لحمها ؟ فقال هي التي جئت  
على ركبها وذبحت من خلف قفاها ، فقال كيف تقول ۱۱۱ وهذا شیخ العراق  
— يعني ابا العباس المبرد — يقول ۰۰۰ هي القليلة اللبن . وانشده اليتين .  
قال ابو حنيفة أيمان البيعة تلزم ابا حنيفة ان كان هذا التفسير سمعه هذا  
الشیخ او قرأه وان كان البيتان الا لساعتها هذه ، فقال المبرد :

صدق الشیخ ابو حنيفة فأني أفت ان ارد عليك من العراق — وذكرى  
ما قد شاع — فأول ما تسألي عنه لا أعرفه . فاستحسن منه هذا الاقرار .

- ٤٥ -

وذكر محمد بن عبدالله بن حمدون احد المقربين الى المتضد الخليفة  
العباسي : ان المتضد كان في بعض مُسَمَّدِياته محتازا بعسكره وانا معه .  
فصال ناطور في قيئاء فأستدعاه وسألة عن سبب صياحه . فقال أخذ بعض

الجيش شيئاً . فقال المعتقد اطليوهم . فجاءوا ثلاثة انس . فقال هؤلاء . الذين أخذوا القتاء ؟ فقال الناطور : نعم . فقيدهم في الحال وأمر بحبسهم . فلما كان من الغد أتقدهم الى القراءح - اي مكان القتاء - وضرب اعناقهم فيه . وسار . فأنكر الناس ذلك ذلك وتحذثروا به . ومضت على ذلك مدة طويلة . فجلست احادته ليلة . فقال لي : يا عبدالله هل يعيي الناس علي شيئاً ؟ عرفني حتى ازيله . فقلت . كلا يا امير المؤمنين . فقال أقسمت عليك بحياتي الا صدقتي . قلت : يا امير المؤمنين وانا آمن !!!

قال نعم . قلت : اسراعك الى سفك الدماء فقال : والله ما هرقت دماً  
قط منذ وليت هذا الامر الا بحقه . قال : فأمسكت امساك من ينكسر  
عليه الكلام . فقال بحياتي لما قلت . فقلت يقولون انت قلت احمد بن  
الطيب وكان خادمك ولم تكن له جنائية ظاهرة . فقال : ويحك انه دعاني  
الى الالحاد . . . فسكت سكوت من يريد الكلام . فقال في وجهك كلام .  
فقلت : الناس ينقومون عليك امر الثلاثة الانس الذين قتلتهم في قرائح  
القتاء . فقال والله ما كان اولئك المقتولون هم الذين أخذوا القتاء وانما  
كانوا مجرمين يستحقون القتل حملوا من موضع كذا وكذا . ووافق ذلك  
امر اصحاب القتاء فأردت ان أهول على الجيش بان من عاث منهم في عسكري  
وافسدو في هذا القدر كانت هذه عقوبتي له ليكتعوا عما فوقه . ولو اردت  
قتل اصحاب القتاء لقتلتهم في الحال والوقت . وانما حبسهم وامر باخراج  
المجرمين من غد مغطين الوجوه ليقال انهم اصحاب القتاء . فقلت فكيف  
تعلم العامة ؟ قال اخراجي القوم الذين أخذوا القتاء احياءاً واطلاقي لهم في هذه  
لساعة . ثم قال : هاتوا القوم . فجاءوا بهم فاستابهم عن فعل مثل ذلك  
واطلقهم .

وذكر احمد بن عبيد بن ناصح - مؤدب المعتز - ان المتوكل لما اراد ان يعقد للمعتز ولاية المهد حَطَّطَتْهُ عن مرتبته قليلاً وأخرجت غداةً عن وقته . فلما كان وقت الانصراف قلت للخادم احمله فضربته من غير ذنب . فشكى ذلك الى المتوكل . فأنا في الطريق منصراً اذا لحقني صاحب رسالة فقال : امير المؤمنين يدعوك . فدخلت على المتوكل وهو جالس على كرسي والفضيبيين في وجهه والفتح بن خاقان بين يديه منكثاً على السيف . فقال ما هذا الذي فعلته يا أبا عبدالله ؟ قلت أقول يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إنما سألك لتقول . قلت : بلغني ما عزم عليه امير المؤمنين - اطال الله بقاءه - فدعوتولي عهده وحططت منزلته ليعرف هذا المقدار فلا يجعل بزوال نعمة احد . وأخرت غداة ليعرف هذا المقدار من الجوع فإذا اشتكى اليه الجوع عرف ذلك . وضربته من غير ذنب ليعرف مقدار الظلم فلا يجعل على احد .

وذكر ابو جعفر احمد بن يوسف بن ابراهيم ان احمد بن طولون جلس والده يوسف بن ابراهيم في بعض داره . وكان اعتقال الرجل في داره يتذرع بهلاكه . فاجتمع زهاء ثلاثين رجلاً من يعرفون يوسف ويترددون عليه . وركبوا الى دار احمد بن طولون واستأندوا عليه . فأذن لهم . فدخلوا اليه - وعنه محمد بن عبدالله بن عبد الحكم وجماعة من اعلام الناس . فابتدأوا كلامهم بان قالوا : قد اتفق لنا - ايد الله الامير - من حضور هذه الجماعة [ وأشاروا الى ابن عبد الحكم والحاضرين مجلسه ] مارجعوا ان يكون ذريعة الى ما نسأله ونحن نرغب الى الامير في ان يسألهم عنا ليقف على امرنا ومنازلنا . فسألهم احمد بن طولون عنهم فقالوا : قد عرضت العدالة - يعني مهنة القضاة - على اكثربهم فامتنع منها . فأمرهم احمد بن طولون

بالجلوس . وسائلهم تعرفه ما قصدوا له . فقالوا ليس لنا ان نسأل الامير  
مخالفة ما يراه في يوسف بن ابراهيم لانه أهدى الى الصواب فيه . ونحن نسألة  
ان يقدمنا الى ما اعزم عليه فيه : ان آخر قتله ان يقتلنا . وان آخر غير ذلك  
ان يلطفه فهو في سعة وحل منه . فقال احمد بن طولون بارك الله عليكم فقد  
كافأتم احسانه . ثم قال احضروا يوسف بن ابراهيم . فأحضر . فقال خذوا  
يد صاحبهم وانصرفوا . فخرجوا معه وانصرف الى منزله .

- ٢٨ -

وحضر الصاحب بن عباد دار الوزير المهلبي عند وروده الى بغداد .  
ثم قصد القاضي ابا السائب عتبة بن عبيد لقضاء حقه . فتلاقى القاضي في  
القيام للصاحب . وتحفظ حفزا اراد به ضعف حركته وقصور هضته .  
فأخذ الصاحب بيده واقمه . وقال نعين القاضي على قضاء حقوق اخوانه .  
فنجلى ابو السائب واعتذر اليه . ويجري هذا المجرى ما ذكره القاضي ابو علي  
التنوخي في كتابه نسوار المحاضرة حين قال : « حدثني ابو منصور عبدالعزيز  
محمد بن عثمان المعروف بابن الشريي صاحب امير المؤمنين المطبع لله . قال :  
دخلت في حداتي يوما على ابي السائب القاضي . فتلاقى في القيام لي واظهر  
ضعفا عنه للسن والعلل المتصلة به . قال : فتطاولت فجذبت بيده بيدي حتى  
اقمته القيام التام وقت له : أعين قاضي القضاة — ايده الله — على اكمال  
البر وتوفيق الاخوان حقوقهم . قال و كنت عاتبا عليه في اشياء عاملني  
بها . وانا جئته للخصومة . فبدأت لأخذ الكلام . فحين رأى الشرفسي  
وجهي قال : تنقض لاستماع كلامتين ؟ ثم تقول ما شئت .

فقلت له قل : فقال رويانا عن ابن عباس — رضي الله عنه — في قوله  
تعالى : « فاصفح الصفح الجميل » . قال عفو بلا تقرير . فإن رأيت أن تفعل  
ذلك فافعل . فأستحببت من الاستقصاء عليه وانصرفت » .

وفي سنة ثمان عشرة ومئتين كتب المؤمنون من الشعر إلى أصحى بن ابراهيم المصعي والملي بنداد في امتحان القضاة والفقهاء والمحدثين بالقرآن . فعن أقر أنه مخلوق محدث خلي سبيله . ومن أبي عليه أعلمه به ليأمر فيه بوأيه . فأحضر أصحى : أبا حسان الزيادي وبشر بن الوليد الكندي وعلى بن أبي مقاتل والفضل بن غانم والذباب بن هيثم وسجادة والقاريري وأحمد بن حنبل وقيبة وسعدوية الواسطي وعلى بن الجعده وسعد بن أبي إبرائيل وأبن المرئش وأبن علي الأكبر ويحيى بن عبد الرحمن الرباشي وأبا نصر النمار وأبا عمر القيطي ومحمد بن حاتم بن ميسون ومحمد بن نوح المضروب وأبن الفرحان وجماعة منهم النضر بن شميل وأبو علي عاصم وأبو العوام البزار وأبن شجاع وعبد الرحمن بن أصحى . فأدخلوا على أصحى بن ابراهيم المصعي فقرأ عليهم كتاب المؤمنون مرتين حتى فهموه . ثم كلام رجلان رجلا منهم فيجيب بما يغالط به أو يصرح . حتى قال لأبي حسان الزيادي ما عندك ؟ وقرأ عليه كتاب المؤمنون . فقال الزيادي : القرآن كلام الله . والله خالق كل شيء . وأمير المؤمنين امامنا وبسببه سمعنا عامة العلم . وقد سمع ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم . وقد قلده الله امرنا فصار يقيم حجنا وصلاتنا وتودي إليه زكوات أموالنا ونجهاد معه ونرى امامته . فأن امرنا أئتمرنا وان هانا انتهيانا . فقال له أصحى ابن ابراهيم المصعي : القرآن مخلوق ؟ فأعاد أبو حسان الزيادي مقالته . فقال أصحى بن ابراهيم المصعي : هذه مقالة أمير المؤمنين فقال الزيادي قد تكون مقالته ولا يأمر الناس بها وان اخبرتني ان أمير المؤمنين أمرك ان اقول قلت ما امرني به فانك الثقة فيما ابلغني عنه . قال المصعي ما امرني ان ابلغك شيئا . قال الزيادي وما عندي الا السمع والطاعة فامرني ائمر . قال المصعي ما امرني ان ائمركم وانما امرني ان امتحنك وتركته والتفت إلى غيره .

وحدث الصولي عن عبدالله بن محمد الفارسي عن ثمامة بن اشرس قال لما قدم المأمون من خراسان الى بغداد امر بان يسمى له قوم من اهل الادب ليجالسوه ويسامروه . فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الصحاح . فقرأ اسماءهم حتى بلغ الى الحسين فقال : اليه هو الذي يقول في الامين :

هَلْ لَهُ بِقِيَّةٍ لِسَدِّ نَاقَتِنَا<sup>١</sup>  
أَبْدَا وَكَانَ لِفِيرَكَ التَّلِيفَ  
فَلَقِدْ خَفَتْ خَلَافَتِنَا سَلَفَنَا  
وَلَسَوْفَ يَعْزُزْ بَعْدَكَ الْخَلِيفَ  
لَا حَاجَةٌ لِي فِيهِ . وَاللَّهِ لَا يَرَانِي أَبْدَا إِلَّا فِي الطَّرِيقِ . وَلَمْ يَعَاتِبْ الْمَأْمُونَ  
الْحَسَنِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ هَجَائِهِ لَهُ وَتَعْرِيضِهِ بِهِ .

وحدث جعفر بن منصور قال حدثني أبي قال : حج المهدى فنزل زبالة [ وهي قرية بطريق مكة من الكوفة ] فدخل الحسين بن مطير الاسدي عليه فقال

أَضْحَتْ يَمِينَكَ مِنْ جَسُودٍ مَصْوَرَةً<sup>٢</sup>  
لَا بَلْ يَمِينَكَ مِنْهَا صَسْوَرَةُ الْجَسُودِ  
مِنْ حَسَنٍ وَجَهَكَ تَضْحِي الْأَرْضُ مَشْرَقَةً  
وَمِنْ بَنَانِكَ يَجْرِي الْمَاءُ فِي الْمَوْدِ

قال المهدى كذبت . قال : ولم ذاك يا امير المؤمنين ؟ قال هل تركت في شعرك موضعا واحد بعد قولك في معن بن زائدة :

الْمِسَاءُ عَلَى مَعْنَى وَقْتِهِ لَقِبَرِهِ  
 سَقْتَكَ الْفَسَوَادِيَّ مِرْبُعَائِمَّ مَرْبِعَا  
 فِيَا قَبْرِ مَعْنَى اَنْتَ اُولَّا حَفْرَةٍ  
 مِنَ الْأَرْضِ خَطَّتْ لِلْمَكَارِمِ مَضْجُعًا  
 وَبِا قَبْرِ مَعْنَى كَيْفَ وَارِيتَ جَهْدَهُ  
 وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مَتَرْعَسًا  
 بَلْيَ قَدْ وَسَعَتِ الْجَهْودُ وَالْجَهْودُ مَيْتَ  
 وَلَوْ كَانَ حِيًّا ضَقَّتْ حَتَّى تَصْدِعَهَا  
 وَلَمَّا مَضَى مَعْنَى مَضَى الْجَهْودُ وَانْفَضَّ  
 وَاصْبَحَ عَسْرَيْنِ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَهَا  
 وَمَا كَانَ إِلَّا الْجَهْودُ صَسْوَرَةُ وَجْهِهِ  
 فَعَاثَسِ رِيمَائِمَّ وَلَسَئِيَّ وَوَدَعَهَا  
 وَكَنْتُ لِسَدَارِ الْجَهْودِ يَا مَعْنَى عَسَامَرَا  
 وَقَدْ أَصْبَحَتِ السَّدَارُ بِمَدْكَ بَلْقَعَهَا  
 فَتَسَى عِيشَسِ فَيِّي مَعْرُوفَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ  
 كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَهَا  
 تَمَئِي أَنَامِشِ شَأْوَهُ مِنْ ضَلَالِهِ  
 فَأَفْسَحُوا عَلَى الْأَذْقَانِ صَرْعَى وَضَلَائِهَا  
 أَبْسَى ذَكْرِ مَعْنَى أَنْ يَمِيتَ فَعَالَهُ  
 وَانْ كَانَ قَدْ لَاقَى حَامَّا وَمَصْرَعَهَا  
 فَقَالَ الْحُسَينُ بْنُ مَطَيرٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا مَعْنَى حَسَنَاتِكَ  
 وَفَعْلَةُ مِنْ فَعْلَاتِكَ ٠

- ٤٢ -

ذكر الرواية ان عمر بن بتكيرً كأن يوما بين يدي المتصر وهو أمير وفي نفسه شيء على الحسن بن سهيل ولا يأذن له بالدخول عليه . فقال عمر « أذ رأى الامير ان يسهل اذنه ويجعل ذلك على يدي وحبوة لي وذرعه في مكافأة الحسن فعل ٠٠٠ فأدخل الحسن ٠٠٠ فلما سلم على المتصر امره بالجلوس . فجلس . فقال له المتصر قد صيرت اذنك الى عمر بن بكير ورفقت يد الحاجب عنك فاحضر اذا شئت من غدو او رواح وارفع حوائجك وتكلم بكل ما في صدرك .

قال الحسن : ايها الامير والله ما احضر طلبا للدنيا ولا رغبة فيها ولا حرصا عليها . ولكن عبد يشتابق الى سادته وبلقائهم يشتهد ظهره وينبسط امله . وما احضر لغير ذلك . »

- ٤٣ -

دخل عماره بن حمزة يوما على المدي فأعظمه . فلما قام له رجل من القرشين كان في المجلس : يا أمير المؤمنين : من هذا الذي أعظمته هذا الاعظام كله ؟ فقال هذا عماره بن حمزة مولاي . فسمع عماره كلامه . فرجع اليه فقال : يا أمير المؤمنين جعلتني بعض حيالك وفراشيك ! الا قلت : عماره بن حمزة بن ميمون مولى عبدالله بن عباس ليعرف الناس مكانى !!!

- ٤٤ -

قال محمد البزيدي « شهدت المؤمن وهو جالس على دكة الشمايسية وعنه احمد بن الجنيد الاسكافي وجماعة من الخاصة اذ دخل عليه علي بن الهيثم . فلما قرب منه قال له المؤمن : يا عدو الله يا فاسق . يا لص ٠٠٠ والله لا فرقن بين لحمك وعظمك ٠٠٠ فقال احمد بن الجنيد : نعم والله يا أمير المؤمنين ٠٠٠ انه وانه ٠٠٠ ولم يدع شيئا من المكرور الا قاله فيه . فقال المؤمنون — وقد هدا غضبه — يا أحمد ومتى اجرأت على هذه العبرة !!! رأيتني وقد

— وقد هدا غضبه — يا أَحْمَد ومتى اجترأت على هذه الجرأة !!! رأيتني وقد  
غضبت فأردت ان تزيد في غضبي . أما اني سأؤدبك فأؤدب بك غيرك .  
يا علي بن الميسم قد صفحت عنك ٠ ॥

— ٤٥ —

ذكر الفضل بن الربيع ان اباه كان يأمره ب اللازمة عمارة بن حمسة .  
« فاعتل عمارة وكان المدي سيء الرأي فيه . فقال له ابي يوما : يا أمير  
المؤمنين مولاك عمارة عليل وقد افضى الى بيع فرشه وكسوته . فقال :  
غفلنا عنه . وما كنت اظن انه بلغ الى هذه الحالة . احمل اليه خمسائة  
الف درهم يا ربيع . واعلمه ان له عندي بعدها ما يحب . فحملها ابي من  
ساعته وقال لي اذهب بها الى عمارة وقل له ابي يقرئك السلام وقد ذاكر امير  
المؤمنين امرك فاعذر من غفلته عنك وامر لك بهذه الدرهم وقال لك عنده  
ما تحب . فأتيته وباللغة الرسالة فقال : قد كان طال لزومك لنا . وقد كنا نحب  
ان نكافئك على ذلك ولم تتمكن قبل هذا الوقت . انصرف بها . فهذه لك ٠ ॥

— ٣٦ —

قال ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى : لما دخلت مصر لم يق احمد  
من أهل العلم الا لقيني وامتحنني في العلم الذي يتحقق به . فجاءني  
يوماً رجل فسألني عن شيء من العروض - ولم اكن نشطت له قبل ذلك -  
فقلت له : على قول الا انكلم اليوم بشيء من العروض . فإذا كان في غد  
قصر الى . وطلبت - من صديق لي - العروض للخليل بن احمد . فجاء به .  
نظرت فيه ليلتي . فأمسكت غير عروضي واصبحت عروضيا . » وابو جعفر  
الطبرى من الفضل والعلم ما لم يجعله أحد . فقد كان عالما بالفقه والحديث  
والتفسير والنحو واللغة والتاريخ . وله في جميع ذلك تصانيف مشهورة .

— ٣٧ —

وذكر عن المبارك بن محمد بن عبد الكريم الملقب ببعد الدين المعروف

بابن الاثير صاحب «الكامل في التاريخ» قوله «لقد الرزمي الامير نور الدين بالوزارة غير مرة وانا استعفية حتى غضب مني . فجعلت ابكي فبلغه ذلك فجاءني فقال لي : أبلغ الامر الى هذا الحد !!! ما علمت ان رجلا من خلق الله يكره ما كرهت . فقلت اما يا مولاي رجل كبير وقد خدمت العلم عمري واشتهر ذلك عنى في البلاد بأسرها . واعلم أننى لو اجهدت في اقامة العدل بغاية جهدي ما قدرت اؤدي حقه . ولو ظلم فرد في صنعة من اقصى اعمال السلطان لنسب ظلمه الي ورجعت انت وغيرك باللائمة علي . » فاغاه .

- ٤٨ -

كتب الواقدي مرة الى المؤمن يشكو ضائقة ركه بسببها دين . وعين مقداره فوقع المؤمن على قصته بخطه : «فيك خلتان : سخاء وحياء . فالسخاء اطلق يديك بتذير ما ملكت . والحياء حملك على ان ذكرت لنا بعض دينك ، وقد امرنا لك بضعف ما سألت . وان كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك فبحبائك على نفسك . وان كنا بلغنا بغيتك فزد في بسطة يدك فان خرائن الله مفتوحة . » وقد ذكر الخطيب في تاريخه ان «الواقدي قدم بغداد وولي قضاء الجانب الشرقي . وهو من طبق الارض ذكره .... وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المذاي والسير والطبقات ... » وكان الرشيد قد ولاه القضاء بشرقى بغداد . ثم ولاه المؤمن القضاء وكان يكرم جانبه ويبالغ في رعايته .

### ثالثاً - قول الحق في المواقف الحرجية :

ما لاشك فيه ان هناك رابطة عضوية بين « قول الحق في المواقف الحرجية » وبين « مواقف تثير الاعجاب » وان الحد الفاصل بينهما يتعدد رسما . ومع ذلك فان « المواقف التي تثير الاعجاب » قد تحصل في كثير من الاحيان في حالات خاصة لا يتعرض صاحبها الى خطر داهم او مباشر يهدد

حياته . وقد رأينا هذه الناحية في عزلهما عن بعضها . مع العلم « ان قول الحق في المواقف الحرجية » ظاهرة اجتماعية نادرة الحدوث ولا يقوى عليها الا بعض الناس في بعض الاحيان . ولهذا فان هذه الحالة بالغة الاهمية من الناحية التربوية . وهذه طائفة من الامثلة على قول الحق في المواقف الحرجية .

- ١ -

يَنِمَا الْمُنْصُورُ يَطُوفُ لِيَلًا بِالْبَيْتِ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِلَيْكَ اشْكُو  
ظُهُورَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ وَمَا يَحْوِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَآهَلِهِ مِنَ الطَّمْعِ . فَخَرَجَ الْمُنْصُورُ  
فِي جُلُسٍ نَّاجِيَةً مِنَ الْمَسْجِدِ وَارْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ يَدْعُوهُ . وَعِنْدَمَا حَضَرَ قَالَ  
الْمُنْصُورُ مَا الَّذِي سَمِعْتَ تَقُولُهُ ؟ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي عَلَى نَفْسِي  
أَبَأْتُكَ بِالْأَمْرِ مِنْ أَصْوْلِهَا . قَالَ اَنْتَ أَمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ . فَقَالَ إِنَّ الَّذِي دَخَلَهُ  
الْطَّمْعُ حَتَّى حَالَ بَيْنِهِ وَبَيْنِ اَصْلَاهِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ لَا تَنْتَ . إِنَّ اللَّهَ  
اَسْتَرْعَكَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَغْفَلْتَ أَمْرَهُمْ وَاهْتَمَتْ بِجَمْعِ أَمْوَالِهِمْ وَجَعَلَتْ  
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حَجَباً وَسَجَنَتْ نَفْسَكَ فِيهَا عَنْهُمْ وَأَمْرَتَ إِنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْكَ إِلَّا فَلَانْ  
وَفَلَانْ وَلَمْ تَأْمِرْ بِإِصْالِ الظَّالِمِ وَالْمَلْهُوفِ لَا أَحَدٌ مَّا لَهُ فِي هَذَا الْمَالِ حَقٌّ .  
فَمَا زَالَ هُؤُلَاءِ النَّفَرُ الَّذِينَ اسْتَخْلَصُتْهُمْ بِنَفْسِكَ وَآزَرْتُهُمْ عَلَى رِعْيَتِكَ يَجْبُونَ  
الْأَمْوَالَ وَيَجْمِعُونَهَا وَائْتَمِرُوا عَلَى إِلَّا يَصْلِي إِلَيْكَ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ شَيْءٌ إِلَّا مَا  
أَرَادُوا وَلَا اتَّشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُمْ اَظْهَمُهُمُ النَّاسُ وَهَابُوهُمْ وَكَانَ اُولُو  
حَالِهِمْ عَمَالِكَ بِالْهَدَى وَالْأَمْوَالَ لِيَقْوِوا عَلَى ظُلْمِ رَغْيَكَ . إِنَّ النَّاسَ  
أَعْلَمَا يَفْزَعُونَ إِلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ وَيَرْضُونَ بِقَوْلِهِمْ فَاجْعَلْهُمْ بَطَانَتِكَ يَرْشَدُونَكَ  
وَشَاؤُهُمْ فِي أَمْرِكَ يَسْدِدُوكَ . قَالَ الْمُنْصُورُ قَدْ بَعْثَتِ الْيَهُودُ فَهَرَبُوا مِنِيْ .  
قَالَ الرَّجُلُ : نَعَمْ خَافُوا أَنْ تَحْلِمُهُمْ عَلَى طَرِيقِكَ وَلَكِنْ افْتَحْ بَابَكَ وَسَهَّلْ  
حِجَابَكَ وَاظْهِرْ الظَّلْمَ وَاقْعِدْ الظَّالِمَ وَخُذْ الْفَيءَ وَالصَّدَقَاتَ مِمَّا حلَّ وَطَابَ  
وَاقْسِهَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلَ عَلَى أَهْلِهِ وَإِنَّ الضَّامِنَ عَنْهُمْ أَنْ يَأْتُوكَ وَيَسْعَدُوكَ عَلَى  
صَلَاحِ الْأَمَّةِ .

- ٢ -

وقال الرشيد يوماً للفضل بن عياض : ما ازهدك ألا قال : أنت يا هرون  
ازهد مني لأنني زهدت في دنيا فانية وزهدت أنت في آخرة باقية

- ٣ -

قال احمد بن ابي دؤاد ما رأيت رجلاً قط نزل به الموت وعاينه فما ادهشه  
ولا اذهله ولا اشغله بما كان اراده واحب ان يفعله حتى بلغه الا تيم بن  
جميل الخارجي حين اتي به الى المعتصم ° فرأيته بين يديه وقد بسط له  
النطح والسيف فجعل تيم ينظر اليهما وجعل المعتصم يصعد النظر فيه  
ويصوبه ° فقال له المعتصم يا تيم تكلم ان كان لك حجة وعذر فابده °  
فتمثل تيم بهذه الايات :

ارى الموت بين السيف والنطح كامنا  
يلاحظني من حيثما أتألمت°  
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي  
وأوي أمريء مما قضى الله يفلت  
ومن ذا الذي يدللي بعذر وحجة  
 وسيف المايايا بين جنبيه مصلحت  
يُعْزِّزْ عَلَى الْاوَسِ بْن تَلْبِ مَوْقَتْ  
يُهَمَّزْ عَلَى السيف فيه وأسكت  
وما جزعني من أن أمسوت وانتي  
لا علم ان الموت شيء موقت

- ٤ -

ذكر الحسن بن قحطبة انه استئذن للقاضي شريك بن عبدالله على  
المهدي - وانا حاضر - ° فقال المهدي علي بالسيف ° فأحضر ° قال الحسن

فاستقبلتني رعدة لم املتها . ودخل شريك فسلم . فاتضى المهدى السيف .  
 وقال لا سلم الله عليك يا فاسق . قال شريك : يا امير المؤمنين ان للفاسق  
 علامات يعرف بها : شرب الخمور وسماع المعاذف وارتكاب المحظورات .  
 فعلى اي ذلك وجدتني ؟ قال : قتلني الله ان لم اقتلك . قال شريك : ولم  
 ذلك يا امير المؤمنين دمي حرام عليك ؟ قال لاني رأيت في المنام كأنني مقبل  
 عليك اكلمك وانت تكلمني من قفاك . فأرسلت الى المعبر فسألته عنها  
 فقال هذا رجل يطا بساطك وهو يسر خلافك . فقال شريك : يا امير المؤمنين  
 ان رؤياك ليست رؤيا يوسف بن يعقوب عليهما السلام . وان دماء المسلمين  
 لا تسفك بالاحلام . فنكس المهدى الي رأسه وأشار اليه بيده ان أخرج .  
 فانصرف .

- ٥ -

اتى المهدى برجل قد رمي بالزنقة . فسأله عن ذلك . فقال الرجل :  
 أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله  
 وان الاسلام ديني عليه احبا وعليه اموت وعليه أبعث . فقال له المهدى يا عدو  
 الله انتما تقول هذا مداعنة عن نفسك . هاتم السياط . فأحضرت وأمر بضربه .  
 فضرب ، وهو يقرره . فلما أوجعه الضرب قال له : يا امير المؤمنين : اتق  
 الله . فقد حكمت علي خلاف حكم الله تعالى . وخلاف حكم رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم . فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم يقاتل الناس  
 حتى يقولوا لا إله إلا الله . فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها .  
 وحسابهم على الله . وانت قد جلست تطالبني وتصربني حتى اكفر  
 فقتلني . فخجل المهدى وعلم انه اخطأ فامر باطلاقه .

- ٦ -

قال ابو حازم القاضي كان في حجري ايتام ذكور واثاث خلفهم بعض  
 العمال . فرددت امامتهم الى بعض الشهود فصار الي الامين يوما وعرفني ان

عامل المستغلات ببغداد — الذي يتولى مستغلات السلطان — قد ادخل يده في املاك الایتام وذكر ان الوزير عبيد الله بن سليمان امره بذلك عن امير المؤمنين المعتصم . قال ابو حازم فصرت الى المعتصم في يوم موكب . فلما اقضى الموكب وفدت منه وشرحت له الصورة . فقال لي ابو الایتام عامل خاتني في مالي واقتطعهولي عليه مال جليل من نواحي كان يتولاها من ضياعتي خاصة . وما لي عليه بضعف هذه الاملاك التي خلفها . قال ابو حازم فقلت ما تدعنه عليه يحتاج الى بينة يا امير المؤمنين وقد صع عندي ان هذه الاملاك املاكه يوم مات ولا طريق الى انتزاعها من يد وارثه الا ببينة بالمال . هذا حكم الله في البالغين فكيف في الاطفال ؟ فسكت المعتصم ساعة مطرقا . ثم دعا بدواء ووقع بخطه الى عبيد الله بن سليمان بالافراج عن الضياع .

— ٧ —

حسن هشام بن عبد الملك الفرزدق في سجن خالد بن عبد الله القسري . فوقد جرير الى خالد لشفاعته . فقال له خالد : الا يسرك ان الله اخزى الفرزدق !! فقال ايها الامير والله ما احب ان يخزيه الله الا بشعرى . وانما قدمت لاشفع فيه . فدعا خالد الفرزدق وقال اني مطلقك بشفاعة جرير فقال الفرزدق اسير قسري وطليق كلبي فبأي وجه افخر العرب بعدها !! ردني الى السجن .

— ٨ —

ذكر عن الريبع — مولى المنصور — انه قال : ما رأيت رجلا اربط جائلا او اثبت جنانا من رجل سعي به الى المنصور ان لديه دائم واموال لبني امية .

فأمرني بحضوره . فأحضرته اليه . فقال له المنصور : رفع اليانا بنا الودائع والاموال التي عندك لبني امية . فأخرج لنا منها واحضرها ولا تكتم منها

شيئاً . فقال الرجل يا امير المؤمنين : أأنت وارثبني امية ؟ قال لا . قال :  
 فووصي لهم في اموالهم وودائعهم ؟ قال لا . قال فما مسألك عما في يدي من  
 ذلك ؟ قال الربيع : فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال : بني امية ظلموا  
 المسلمين فيها وانا وكيل المسلمين في حقوقهم واريد ان آخذ ما ظلموا المسلمين  
 فيه فأجعله في بيت اموالهم . فقال الرجل : يا امير المؤمنين تحتاج الى اقامة  
 بينة عادلة لأن ما في يدي لبني امية هو مما خانوه او ظلموه فان بني امية كانت  
 لهم اموال غير اموال المسلمين . فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال :  
 يا ربيع ما ارى الشيخ الا قد صدق . وما يجب عليه شيء . وما يسعنا الا ان  
 نعفو عما قيل عنه . ثم قال للرجل هل لك حاجة ؟ قال نعم : حاجتي – يا امير  
 المؤمنين – ان تجمع بيني وبين من سعى في اليك . فو الله الذي لا اله الا هو  
 مافي يدي لبني امية مال ولا وديعة . ولكنني لما مثلت بين يديك وسألتني عنه  
 قابلت بين هذا القول – الذي ذكرته الان – وبين ذلك القول الذي ذكرته  
 اولاً فرأيت ذلك اقرب الى الخلاص والنجاة . فقال المنصور للربيع ان يجمع  
 بين الرجل وبين من سعى به . فجتمع بينهما . فلما رآه قال هذا غلامي اخترس  
 ثلاثة الاف دينار من مالي وأبقي مني وخاف من طلبي له فسعي بي عند امير  
 المؤمنين . فشدد المنصور على الغلام وخوفه فاعترف بذنبه .

- ٩ -

ذكر الرواية ان المنصور بعث الىشيخ من بطانة هشام بن عبد الملك  
 الخليفة الاموي . فلما حضر سأله المنصور عن سياسة هشام وعلاقاته بالناس .  
 فأقبل الشيخ يقول : فعل هشام رحمة الله كذا وكذا . وقال يوم كذا رحمة  
 الله . فامتعض المنصور من ذلك ونهره وقال له : قم لعنك الله . أطأ باسطي  
 وترحم على عدوبي !!! فقال الشيخ يا امير المؤمنين ان نعمة عدوك لقلادة في  
 عنقي لا ينزعها الا غاصلي . فتراجع المنصور وتلاشت حدته وقال ارجع الى  
 حدثك فأني اشهد انك غرس شريف وابن حرة .

رابعا - « جنلية » او دialectiek الطواهر الاجتماعية :  
نقصد بجدلية الطواهر الاجتماعية - او دialectekتها - انها تحمل  
الشيء ونقضه وان ذلك ينوقف على الجانب الذي ترك اهتماما فيها .  
وقد يمأ قال المتنبي

بذا قضت الايام ما يسن اهلها  
مائسب قوم عند قوم فوائد  
وهذه نماذج منها

- ١ -

ذكر الرواية ان عبدالله بن عامر امير البصرة لشنان بن الغفار من على نهر  
ام عبدالله الذي يشق البصرة ومعه غilan بن خرشة الضبي احد وجوه القوم .  
وقال عبدالله : ما اصلاح هذا النهر لاهل هذا المصر !!! قال غilan : أجل ايها  
الامير . يعلم القوم صيانتهم السباحة فيه . ويكون لصيانتهم وسيل مياهم .  
وتائيم فيه ميرتهم . ثم من غilan يساير زيادا - امير البصرة بعد عبدالله بن  
عامر وكان يحفوه - فقال زياد ما أضر هذا النهر بأهل هذا المصر !!! قال غilan :  
أجل ايها الامير . تنز منه دورهم ويفرق فيه صيانتهم ويكثر من اجله يعوضهم .

تلك ظاهرة اجتماعية مألوفة كثيرة الواقع يجتمع فيها الشيء ونقضه  
ويستوي فيها المدح والقبح . وهي - بنظرنا - ظاهرة اجتماعية طبيعية  
وموضوعية لا تنطوي دائما وختما او بالضرورة على التذبذب والمواربة كما قد  
يبدو في الظاهر لأول وهلة . ونهر ام عبدالله المار ذكره يحمل الصفتين  
المتناقضتين . وغilan لم ينافق نفسه او يداهن ابن زياد . وقد أبدى الجاحظ  
ملاحظات طريفة وعميقة في هذا الشأن عندما قال « ان العربي يعاف الشيء  
ويمحو غيره به . فإذا ابتلى به فخر به . ولكن لا يفخر لنفسه من جهة ما هجا  
غيره به . فاقهم هذا . فأن الناس يغلطون على العرب ويزعمون انهم يمدحون

الشيء الذي يهجونه . وهذا باطل . ليس شيء إلا وله وجهان . فإذا مدحوا  
ذكروا أحسن الوجهين .

- ٢ -

ان ملاحظات الجاحظ المار ذكرها تذكرنا بحادثة طريفة نادرة ذكرها  
صاحب زهر الاداب « وفدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزيرقان بن  
بلسر وعمرو بن الاهتم . فقال الزيرقان : يا رسول الله انا سيد تميم والمطاف  
فيهم والمجاب منهم . آخذ بحقهم وامنهم من الظلم . وهذا – يعني عمراً –  
يعلم . فقال عمرو : اجل يا رسول الله : انه مانع لحوزته مطاع في عشرته  
شديد العارضة عليهم . فقال الزيرقان : اما والله قد كتم اكثراً ما قال .  
وانه حسدي شرفي . فقال عمرو « اما لئن قال ما قال فوالله ما علمته الا  
ضيق العطن زمر المروءة احمد الادب لئيم الحال حديث الفتن » . فرأى  
الكراءة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال :  
يا رسول الله « رضيت فقلت احسن ما علمت . وغضبت فقلت اقبح ما علمت وما  
كذبت في الاولى ولقد صدقت في الثانية » .

- ٣ -

ذكر الحريري في المقامات الدينارية ان الحارث بن همام قال « قلمني  
واخوانا ناد لم يحب فيه مناد ولا كبا قتدح زناد ولا ذكت نار عباد . في بينما  
تحس تتجاذب اطراف الاناشيد وتتوارد طرف الاسانيد اذ وقف بنا شخص عليه  
سمَّل» وفي مشيه قرزل . فقال يا اخاير الذخائر وبشائر العشائر عموا صباحاً  
وانعموا اصطباحاً . واظروا الى من كان ذا نَدِي وندى وجدة وجداً . مما  
زال به قطوب الخطوب وحرروب الكروب . حتى صفت الراحة وفرغت  
الساحة . فهل من حر آس او سمح مؤاس . قال الحارث بن همام .  
فأبرزت ديناراً وقلت له اختباراً ان مدحته ظلماً فهو لك حتماً . فأنبرى ينشد  
في الحال :

أكسرمْ بـه أصفر راقـت صـفـرـتـه  
جوـءـاب آـفـسـاق تـرامـت سـفـرـتـه  
مائـسـورـة سـعـتـه وـشـهـرـتـه  
قد أـوـدـعـت سـرـ الفـنـى أـسـرـتـه  
وـقـارـنـت ثـجـحـ المـسـاعـي خـطـرـتـه  
وـحـبـيـتـه السـى الـانـسـام غـرـتـه  
وـجـذـا مـفـاتـتـه وـنـصـرـتـه  
كم آـمـرـ بـه اـسـتـبـتـ اـمـرـتـه  
وـمـشـرـفـ لـسـوـلـاه دـامـتـ حـسـرـتـه  
وـجـيشـ هـمـ هـزـمـتـه كـرـتـه  
لـوـلـا الـقـى لـقـلـتـ جـلـتـ قـدـرـتـه

ثم بسط يده بعدما أنشدَه قال أنجز أنجز حر ما وعد وسح حال اذرعه  
فنبذت الدينار اليه وقلت خذه غير مأسوف عليه ۰۰۰ فجبردت دينارا آخر وقلت  
له : هل لك في اذ تذمه ثم تضمه ۰ فأنشد مرتجلًا وشدا عجلًا :

تبالله من خداع مساذق  
أصفر ذي وجهين كالمنافق  
يبدو بوصفين لعين الرامق  
زينة مشتوق ولسون عاشق  
وجهه عند ذوي الحقائق  
يدعو السى ارتکاب سخط العالم  
لسواه لم تقطع يمين سارق  
ولا بدت مظلمة من فاسق

ولا اشمأز باخسل من طمارق  
ولا شكا المطعون مطبل العائق

- ٤ -

ذكر الرواة ان خالد بن صفوان – مع فضله وجلاته – كان احد بخلاء العرب الاربعة . وروي انه اكل يوما خبزا وجينا فرأه اعرابي فسلم عليه . فقال خالد : « هلم الى الخبز والجبن فإنه حض العرب » . وهو يسبح اللقمة ويغش الشهوة وتطيب عليه الشربة » . فانحطت الاعرابي . فلم يبق خالد شيئاً منها ، فقال ياجارية زيدينا خبزا وجينا . فقالت ما بقي عندنا منه شيء . فقال خالد : « الحمد لله الذي صرف عنا معرته وكفانا مؤنته . والله انه ما علمته ليقدر في السن ويخشى الحلق ويربو في المعدة ويعسر في المخرج » .

- ٥ -

وفي ايات المتibi التي يصف بها كافورا الاختيدي او صافا جسمية ثابتة كلون البشرة مثلا اخذها المتibi تارة للمدح واخرى للهجاء وتثبت هنا بعض ايات المدح وتحامى ذكر ايات الهجاء لتنافرها مع ما نحن بصدده وهو المصامين التربوية الصائبة : – وهي موجودة في الديوان بالطبع – :

تفضح الشمس كلما ذرئت . الشمس بشمس منيرة سوداء  
انما الجلد ملبس وايضاض النفس خير من ايضااض القباء  
من ليض الملوك ان تبدل اللون بلون الاستاذ والحسنة

خامسا – الانصراف التام للعلم او الانهياك المنقطع النظير فيه :

- ٦ -

ذكر الرواة ان ابن سحنون كان منهكًا في القراءة والكتابة في احد الايام الى ان حان موعد العشاء . فجاءته جارته ام مدام بالعشاء . فقال لها : يا ام مدام انا مشغول عن العشاء بما انا فيه . فوققت صامتة على رأسه . فلما طال انتظارها اخذت تلقطه الى ان اتت على الطعام كله . وانصرفت واستمر هو

على حاله الى ان اذن المؤذن لصلاة الصبح . فطوى اوراقه وقال يا ام مدام  
هاتي ما عندك من المشاء . فقالت اطعمتك اياه يا سيدى فقال والله ما شعرت  
 بذلك .

- ٤ -

وابو الفتح عثمان بن جنى الذي صحب ابا علي الفارسي اربعين سنة  
ينهل من علمه كان ضعيفا في علم الصرف . وقد ذكر الرواة ان ابا علي الفارسي  
اجتاز الموصل فمر بالجامع وابو الفتح في حلقة يقرئ النحو وهو شاب .  
فسأله ابو علي عن مسألة في التصريف فقرر فيها . فقال له ابو علي « زيت  
(اي صرت زبيبا) وانت حصرم . فسأل عنه فقيل له هذا ابو علي الفارسي .  
فلزمه من يومه ينهل من علمه حتى اصبح وما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله  
وفروعه . ولا احسن أحد أحسانه في تصنيفه . فلما مات ابو علي تصدر  
ابو الفتح في مجلسه ببعضه فأخذ عنه الثمانيني وعبدالسلام البصري وابو  
الحسن الشمسي . ولم يكن في شيء من علومه — على غزارتها — أكمل منه  
في التصريف . ولم يتكلم احد في التصريف ادق كلاما .

- ٣ -

قال الاصمي كت بالبصرة اطلب العلم وانا مقل . وكان على باب زفافنا  
بقال اذا خرجت باكرا يقول لي : الى اين ؟ فاقول الى فلان المحدث . واذا عدت  
في المساء يقول من اين ؟ فاقول من عند فلان الاخباري او اللغوي . فيقول :  
يا هذا اقبل وصيتي : انت شاب فلا تضيع نفسك واطلب معاشا يعود عليك  
تفعله واعطني جميع ما عندك من الكتب حتى اطرحها في الدن . والله لو طلبت  
مني بجميع كتبك جة يقل ما اعطيتك .

قال الاصمي : فضيق صدرني بمداومته هذا الكلام . حتى كنت اخرج  
من بيتي ليلا وادخله ليلا . وحاليا — في خلال ذلك — ترداد ضيقا حتى افضي

الى بيع اساسات داري وبقيت لا اهتدى الى نفقة يومي ٠ وطال شعري واخلق  
نبوبي واتسخ بدني ٠

ومن الطريق ان نشير هنا الى ان الاصمعي سئل يوما : كيف حفظت  
ونسي اصحابك ؟ قال درست وتركوا ٠

قال ابو عثمان المازني : سمعت ابا عبيدة يقول : « ادخلت على الرشيد ٠  
فقال يا معمرا : بلغني ان عندك كتابا حسنا في صفة الخيل احب ان اسمعه منك ٠  
فقال الاصمعي - وكان حاضرا - : وما تصنع يا امير المؤمنين بالكتاب ؟ يحضر  
فرس وتنضم اليدينا على كل عضو ونسمه ونذكر ما فيه ٠ فقال الرشيد : ياغلام  
احضر فرسني ٠ فقام الاصمعي فوضع يده على عضو عضو وجعل يقول : هكذا  
احضر فرسني ٠ فقام الاصمعي فوضع يده على عضو عضو وجعل يقول : هذا  
كذا وقال الشاعر فيه كذا ٠ حتى اتفضى قوله ٠ فقال الرشيد ما تقول يا معمرا  
فيما قال ؟ قال معمرا : اصاب في بعض واططا في بعض ٠ والذى اصاب فيه شيء  
نعلم ٠ والنبي اخطأ فيه لا ادرى من اين اتى !! »

- ٤ -

وسيبويه - الذي بدأ بدراسة الحديث والفقه - لم يكن ملما بال نحو كل  
الامماء . وعندما قريء الحديث النبوى الشريف « ليس من أصحابي الا من لو  
شتت لأخذ عليه ليس ابا الدرداء » اعترض سيبويه وقال « حقه ان يكون : ليس  
ابو الدرداء ٠ » فقيل له لحتن يا سيبويه ٠ ليس هذا حيث ذهبت ٠ وانما  
« ليس » هنا استثناء ٠ فقال : لا جرم سأطلب علما لا تلحوذني فيه ٠ فأخذ النحو  
والادب عن الخليل بن احمد ويونس بن حبيب وابي الخطاب الاخفش وعيسي  
بن عمر ٠

حدث ابو عبيدة قال : لما مات سيبويه قيل ليونس بن حبيب ان سيبويه  
قد الف كتابا في الف ورقة من علم الخليل ٠ قال يونس : « ومتى سمع سيبويه  
هذا كله من الخليل !!! جيئوني بكتابه » ٠ فلما نظر فيه رأى كل ما حكى ٠

قال « يجب ان يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل في جميع ما حكاه كما صدق فيما حكاه عنني » . وذكر صاعد بن احمد الحياني من اهل الاندلس في كتابه قال : « لا اعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديماً وحديثاً فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب : أحدها المخططي بطليموس في علم هيئة الافلاك . والثاني كتاب ارسطalis في علم النطق . والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي . فأن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من اصول فنه شيء الا ما لا خطر له » .

وكان البرد اذا اراد انسان قراءة كتاب سيبويه يقول لـه « اركبت البحر !!! » تعظيمـاً واستصعاـباً . وحدث ابن النطاح قال « كنت عند الخليل بن أحمد فأقبل سيبويه . فقال الخليل : مرجحاً بزائر لا يبل . » وكان ابن النطاح كثير المجالسة للخليل وذكر انه ما سمع الخليل يقولها لغير سيبويه وحدث ابو الطيب اللغوـي عن ابي عمر الزاهـد قال « مات الفراء وتحـت رأسـه كتاب سيبويـه . » وحدث أبو حاتم السجستـاني قال « دخلت على الأصـمعـيـفي مرضـهـ الذيـ مـاتـ فـيـهـ ٠٠٠٠ـ قـفـلـتـ لـهـ :ـ فـيـ تـقـسيـ شـيـءـ أـرـيدـ اـنـ اـسـأـلـكـ عـنـهـ .ـ قـالـ سـلـ .ـ قـفـلـتـ :ـ حدـثـنـيـ بـماـ جـرـىـ بـيـنـكـ وـبـيـنـ سـيـبـوـيـهـ مـنـ المـاـنـاظـرـةـ .ـ قـالـ :ـ وـالـهـ لـوـلـاـ أـنـيـ لـاـ اـرـجـوـ الـحـيـاـةـ مـنـ مـرـضـيـ هـذـاـ مـاـ حـدـثـكـ :ـ اـنـ عـرـضـ عـلـيـ شـيـءـ مـنـ الـاـيـاـتـ الـتـيـ وـضـعـهـ سـيـبـوـيـهـ فـقـسـرـتـهـ عـلـىـ خـلـافـ مـاـ فـسـرـهـ .ـ فـبـلـغـ ذـلـكـ سـيـبـوـيـهـ فـبـلـغـنـيـ اـنـهـ قـالـ :ـ لـاـ نـاظـرـتـهـ اـلـاـ فـيـ الـمـسـجـدـ الجـامـعـ .ـ فـصـلـيـتـ يـوـمـاـ فـيـ الجـامـعـ ثـمـ خـرـجـتـ .ـ فـتـلـقـانـيـ فـيـ الـمـسـجـدـ قـالـ لـيـ :ـ اـجـلـسـ يـاـ اـبـاـ سـعـیدـ .ـ مـاـ الـذـيـ اـنـكـرـتـ مـنـ بـيـتـ كـذـاـ ؟ـ وـلـمـ فـسـرـتـ عـلـىـ خـلـافـ مـاـ يـجـبـ ؟ـ قـفـلـتـ لـهـ :ـ مـاـ فـسـرـتـ الـاـ عـلـىـ مـاـ يـجـبـ .ـ وـالـذـيـ فـسـرـتـهـ اـنـتـ وـوـضـعـتـهـ خـطاـ .ـ تـسـالـيـ فـأـجـبـ .ـ وـرـفـعـتـ صـوـتـيـ فـسـمـعـ الـعـامـةـ صـيـاحـيـ وـنـظـرـواـ إـلـىـ لـكـتـتـهـ .ـ قـفـالـوـاـ :ـ لـوـ غـلـبـ الـاـصـمـعـيـ سـيـبـوـيـهـ .ـ فـسـرـنـيـ ذـلـكـ .ـ قـالـ لـيـ سـيـبـوـيـهـ :ـ اـذـاـ عـلـمـتـ يـاـ اـصـمـعـيـ مـاـ نـزـلـ بـكـ

مني لم التفت الى قول هؤلاء . ونفض يده في وجهي ومضى . فوالله لقد  
نزل بي شيءٌ وددت أنني لم اتكلم في شيءٍ من العلم . »

- ٥ -

والكسائي — الذي اصبح امام الكوفيين في اللغة والنحو وأحد القراء السبعة المشهورين ومؤدب اولاد الرشيد واثيراً عند الخليفة حتى اخرجه من طبقة المؤدبين الى طبقة الجلساء والمؤنسين — انما تعلم النحو على الكبر . وسببه — على يقول الرواة — انه جاء الى قوم من البارين وقد اعيا فقال لهم : قد عييت . فقالوا له : « اتجالسنا وانت تلعن !! فقال كيف لاحت ؟ قالوا : ان كنت اردت من اقطاع الحيلة والتحير في الامر فقل عييت [ مخفقا ] . وان كنت اردت من التعب فقل أعييت . فألف الكسائي من هذه الكلمة (تلعن) ثم قام من توه فسأل عنمن يعلم النحو ؟ فأرشد الى معاذ البراء فلزمته حتى أندى ما عنده . ثم خرج الى البصرة فلقي الخليل وجلس في حلقته . فقال له رجل من الاعراب كيف تركت أسد انكوفة وتميمها — وعندها الفصاحة — وجلت الى البصرة !!! فقال للخليل : « من أين أخذت علمك هذا ؟ » قال « من بوادي العجاز ونجد وتهامة . » فخرج ورجم وقد أندى خمس عشرة قفنة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ .

وحدث هرون بن علي بن المجم في اماله عن أبي ندية قال سمعت الفراء يقول : مدحني رجل من النحويين فقال لي : ما اختلافك الى الكسائي وانت مثله في النحو ؟ فأعجبتني نفسي فأتيته فنظرته مناظرة الاكتفاء فكأني كنت طائراً يُعرف بمنقاره من البحر .

- ٦ -

اما الخليل الذي استخرج العروض وضبط اللغة فقد اشتهر بالانصراف التام والمطلق لعمله الفكرى . وقد عاش على الكفاف لتحقيق هذا الغرض

العلمي النبيل ٠ وقد اشار الى ذلك تلميذه النضر بن شمبل بقوله : أكلت الدنيا  
تعلم الخليل وهو في خص لا يشعر به ٠ ومن طريف ما يروى عن الخليل - في  
هذه المناسبة - ان سليمان بن علي والي الاحواز وجه الى الخليل لتأديب  
ولده ٠ فلخرج الخليل - لرسول سليمان - خبراً يا بسا وقال : ما دمت اجده  
فلا حاجة بي الى سليمان ٠ وقد وصف السира في الخليل بأنه « الفاية في  
تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله ٠ » وذكر الرواة ان ابنه  
دخل يوماً عليه وهو يقطع بيتاً من الشعر فارناب في أمره وخيل اليه انه أصيب  
بس من الجنون ٠ فخرج يصبح بأعلى صوته : لقد جن ابي ٠ فدخل عليه  
الناس وهو يقطع البيت واخباروه بما قال ابنه ٠ فأنشأ يقول مخاطباً ابنه :

لو كنت تعلم ما اقسو عذرتنسي  
او كنت أعلم ما تقسو عذركسا  
لكن جهلت مقالتي فعذاتنسني  
وعلمت انك جاهمل فعذركسا

وقضية انهاك الخليل المنقطع النظير في عمله النهي معروفة ادت الى  
وفاته على يقول الرواة فقد كان منهاكاً في قضية علمية شغلت ذهنه وهو في  
طريقه الى المسجد ٠ وعند دخوله ايامه أصطدم بأحدى السواري فأنقلب على  
ظهره وفارق الحياة ٠

- ٧ -

هناك احاديث كثيرة اخرى ماثلة تتعلق بانهاك شخصيات عربية  
واسلامية فذق في العمل الفكري ابرزها ما يتعلق بقطرب - محمد بن المستير -  
الذي لازم استاذه سيبويه ملازمة الظل الذي الظل ٠ وقد سمي قطرب بالانه كان  
يبيكر الى سيبويه للأخذ عنه ٠ فاذا خرج سيبويه سحراً رأه على الباب ٠ فقال  
يوماً ما أنت الا قطرب ليل [ دوبية صغيرة ] ٠

وقطرب هذا هو احد ائمة النحو واللغة ومن جماعة النظام في الاعتزاز  
ومؤدب ولد ابي دلف العجلي - الذي مرت الاشارة اليه - وصاحب المصنفات  
الكثيرة .

- ٨ -

ومن تلك الشخصيات ايضاً اسحق بن ابراهيم الموصلي الذي جمع - الى  
جانب حذقه بصناعته : الفناء - حسن التصرف في العلوم وجودة الصنعة  
للشعر . وقد ذكر ياقوت - في معجم الادباء - انه لو اراد استيعاب موضع  
الموصلي من العلم ومكانه من الادب والشعر لطال معجم الادباء وخرج من  
غرضه في الاختصار .

اما الفناء - الذي انفرد به الموصلي - فكان اصغر علومه وادنى ما  
يوصف به وان كان الغالب عليه لانه كان له فيسائر علومه نظراً ولم يكن  
له نظير في الفناء . ومن طريف ما يروي - في هذا الصدد - ان المؤمن قال  
مرة لجلسائه : « لولا ما سبق لاسحق على السنة الناس وشهر به في الفناء  
عندهم لوليته القضاء بحضورتي فأنه اولى به واحد واعف واصدق تدينا وامانة  
من هؤلاء القضاة . » وقد ذكر الرواة ان اسحق الموصلي سأله المؤمن ان  
يكون دخوله اليه مع اهل العلم والادب والرواية - لا مع المفنيين - فأجابه  
المؤمن الى ذلك . ثم سأله - بعد ذلك بفترة وجيزة - ان يكون دخوله مع  
الفقهاء فاذن له بذلك . وذكر المرزباني عن محمد بن عطية الشاعر قوله .  
« كنت عند يحيى بن اثيم في مجلس له يجتمع اليه فيه اهل العلم . وحضر  
اسحق الموصلي . فجعل يناظر اهل الكلام حتى اتصف النهار . ثم نكلم في  
الفقه فاحسن واحتاج . ثم تكلم في الشعر واللغة ففاق من حضر . »

ولاسحق الموصلي شعر كثير منه ابياته التي انشدها بحضورة الرشيد  
عندما دخل عليه يوماً وقال له الرشيد انشدني من شعرك :

وآمرة بالبغل قلست لها اقصيري  
 فذلك شيء ما يليه سيسأل  
 أرى الناس خلاة الجناد ولا أرى  
 بخيلا له في العالمين خليل  
 ومن خير حالات التقى لسو علمته  
 اذا نال خيرا ان يكون ينسل  
 عطائي عطاء المثرين تكرما  
 وماليا - كما قد تعليم من - قليل  
 واني رأيت البخل يزري بأهله  
 ويحقر يوما ان يقال بخليل  
 وكيف اخاف الفقر او احرم النفسى  
 ورأى امير المؤمنين جليل  
 وله ايضا من قصيدة اخرى في المعنى نفسه :

يقى الثناء وتذهب الاموال  
 ولكل دهر دولسة ورجسال  
 ما نال محمدة الرجال وشكراهم  
 الا الجناد بماله الفضال  
 لا ترضي من رجل طلاقة قوله  
 حتى تصدق ما يقول فمسال  
 فسادا وزنت فعاله بمقاله  
 فتوازننا فاخسأه ذاك جمسال

ويحدثنا اسحق بن ابراهيم الموصلي عن نفسه - على ما يقول - ياقوت في معجم الادباء - بقوله « بقيت زمانا من دهرٍ أَغْلَقَنِي هَشَّيْمٌ فاسمع الحديث . ثم اصير الى الكسائي فأقرأ عليه جزءا من القرآن . واتي القراء فأقرأ عليه جزءا . ثم أتني منصورا زلزل في طريقتين او ثلاثة . ثم اتني عانكة بنت شميد فأخذ منها صوتا أو صوتين . ثم أتني الاصمعي فأناشده . واتي ابا عبيدة فأذاكره . ثم اصير الى ابي فأعلمه ما صنعت ومن لقيت وما اخذت واتهدى معه . واذا كان العشاء رحت الى الرشيد . »

- ٩ -

واما الجاحظ فأخبار انهاكه المتقطع النظير في اعماله الذهنية اشهر من ان تذكر . فقد كان يكتري دكاكين الوراقين نقرأ ما فيها من الكتب حسب تسلسل موقعها في الدكان بصرف النظر عن موضوعها او مؤلفها ويقضي فيهاليله . وقد قيل انه لم يقع بين يديه كتاب الا استوفاه قراءة . كما انه واصل القراءة والتأليف وهو في سن الشيخوخة المتاخرة بعد تجاوز الثمانين من عمره . وقد توفي وهو في احضان الكتب - التي احبها - عندما انهالت عليه في احد الايام واودت بحياته . ولعل ولعه في الكتب من حيث افتناها ومن ناحية قراءتها يتجلی في وصفه الكتاب بعبارات انيقة متربفة وباسهاب .

- ١٠ -

ويدخل ضمن هذا الباب ياقوت الحموي [ ٥٧٥ - ٦٢٦ ] الذي انصرف الى العلم وانقطع اليه اقطاعا ملحوظا منذ نعومة اظفاره وتحمل في سبيله المشاق ووعثاء السفر والفاقة والادفاع . وقد وصف هو حالته التعيسة بآيات منها :

وقفت وقوف الشك ثم استمر لسي  
يقيني بـأن الموت خير من الفقر

فودعت من اهلي وبالقلب ما بـ  
وسرت من الاوطان فسي طلب اليسر

وباكية العينين قلست نهـما أصبرـي  
فللـامـوت خـير من حـيـاة عـلـى عـمـر

ومع ذلك فلم تلن قناته ولم تنـ الاحداث العـظـام انـهاـكـهـ بالـعـلـمـ .ـ والـىـ  
هـذـاـ المـعـنىـ يـشـيرـ فيـ اـيـاتـ اـخـرىـ مـنـهاـ :

تنـكـرـ لـيـ دـهـريـ وـلـمـ يـسـدـرـ أـنـسـيـ  
أـعـزـ وـأـحـدـاثـ الزـمـانـ تـمـسـونـ

وـبـاتـ يـرـيـنـيـ الخـطـبـ كـيـفـ اـعـسـدـأـوـهـ  
وـبـتـ أـرـيـهـ الصـبـرـ كـيـفـ يـكـسـونـ

وقد قاسى في اسفاره العديدة وتنقلاته بين الحواضر الاسلامية آنذاك  
ما تعذر تصديقه احيانا ٠٠٠ « فلما انتهى الى خراسان ٠٠ وخرج عنها ٠٠  
ومضى الى خوارزم ٠٠ وصادفه ٠٠ خروج التر وذلك في سنة ست عشرة  
وستمائة فأنهزم بنفسه كبعشه يوم الحشر من رمهه . وقادسي في طريقه من  
المضايقه والتعب ما كان يكل عن شرحه - اذا ذكره - ووصل الى الموصل  
وقد تقطعت به الاسباب واعوزه أدنى المأكل وخشن الثياب ثم انتقل الى  
سنجر وارتحل الى حلب واقام بظاهرها في الخان الى ان مات ٠ » وقد خلف  
وراءه ثروة فكرية وثقافية ما زلتا نعمت بها الى اليوم . منها :

كتاب ارشاد الالباء الى معرفة الادباء ، وكتاب معجم الادباء وكتاب  
معجم البلدان وكتاب معجم الشعراء . وكتاب المشترك وضعـاـ المـخـلـفـ صـقـعاـ .  
وكتاب المبدأ والمآل في التاريخ والدول . وكتاب المقتضب في النسب . وكتاب

اخبار المُشكّي . وقبل وفاته اوقف كتبه على مسجد الزبدي بدربر دينار ببغداد وسلمها الى الشيخ عز الدين المعروف بابن الاثير صاحب الكامل في التاريخ .

كما يدخل في هذا الباب ايضا علي بن الحسن الاحمر صاحب الكسائي ومؤدب الامين . وقد ذكر ان الرشيد قال للكسائي « أنت كبرت ونحن نحب ان نودعك ولستنا نقطع عنك جاريتك . فجعل الكسائي يدافع بذلك ويتلافي ان يأتيهم رجل فيقلب على موضعه الى أن ضيق عليه الامر وشدد وقيل له ان لم تأتنا انت من اصحابك برجل ارتدنا نحن لهم من يصلح . وكان قد بلغه ان سببويه يريد الشخصوص الى بغداد . فقلق لذلك . ثم عزم على ان يدخل الى اولاد الرشيد من لا يخشى ناحيته . فقال للاحمر « عزمت ان استخلفك على اولاد الرشيد » . فقال نعم .

قال ثعلب كان الاحمر يحفظ الاربعين الف بيت شاهد في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائد . وكان مقدما على الفراء في حياة الكسائي . وله من التصانيف كتاب التعريف وكتاب تفنن البنقاء . وقيل انه لم يصبه الى احد قط من التأديب ما صار اليه . ومات قبل الفراء بمنة . ومن الطريف ان تشير هنا الى ان الاحمر عندما ادخل الى الدار وفرش له البيت الذي هو فيه بفرش حسن استغرب من ذلك غاية الاستغراب . وكان الخلفاء اذا ادخلوا مؤدبوا الى اولادهم فجلس اول يوم اموروا — بعد قيامه — بحمل كل ما في المجلس الى منزله مع ما يوصل اليه ويوجه له . فلما اراد الاحمر الانصراف الى منزله دعي له بمحالين فجعل معه ذلك كله . فقال الاحمر : والله ما يسع بيتي هذا وما نال الا غرفة ضيقة في بعض الخانات ليس فيها من تحفظه غيري وانا يصلح مثل هذا لمن له دار وأهل . فامر بشراء دار له وجارية . وحمل على دابة ووهب له غلام .

اهم مصادر البحث

ندون ما يلي اهم المصادر التي استقينا منها محتويات كتابنا هذا وقد اثرنا ان نذكر ارقام الصفحات والاجزاء [ في حالة تعددها ] اجزاء كل مصدر بذلا من ان نذكر ذلك - كما هو المتبع - في حواشي الصفحات او هوماشها تفاديا لارباك القارئ بالانتقال من المتن الى الهاشمي لتحميلها عليه في القراءة .

أهم المصادر

- ٦ - نشوار المحاضرة وآخبار المناكرة : للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي ، تحقيق عبود الشالجي ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٢ . والقرارات التي استشهدنا بها موجودة في الصفحات التالية : ج ١ ص ٥٧ ، ٥٨ ، ١٠٣ ، ٢٢٦ ج ٢ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٠ ج ٤ ص ٧٥ ، ١٥٤ ، ٢٤٦ . ج ٦ ص ١٨٦ ، ٢٦٥ ، ٦٦ ، ٢٦٥ ، ١٨٧ ج ٧ ص ٢١ ، ٥٢ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٩٦ ، ١٣٥ . ج ٨ ص ٧٧ ، ١١٥ ، ٢٦٦ . ج ٩ ص ٧٧ ، ١١٥ ، ٢٦٧ .
- ٧ - شرح نهج البلقة : لابن أبي الحميد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار أحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشراكاه ١٩٦٧ . والقرارات التي استشهدنا بها موجودة في ج ٢٠١ ص ١٠٢ .
- ٨ - الدكتور نوري جمفر : الأصلة في شعر أبي الطيب المتنبي ، بغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٧٦ . والقرارات التي استشهدنا بها موجودة في الصفحات ١٧٣ - ١٦٩ .
- ٩ - معجم الآباء . ياقوت الحموي ، تحقيق أحمد فريد رفاعي ، مطبوعات دار المامون . ج ١ ص ١٨ ، ٤٠ ، ٣١ ، ٢٨ ، ٢٢ ، ٢٠ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٤٠ ، ٣١ ، ٢٨ ، ٢٢ ، ٢٠ . ج ٢ ص ٣٠ ، ٣١ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٢٧ ، ٣١ ، ٢٠ . ج ٣ ص ٧٩ ، ٧٦ ، ٠ . ج ٤ ص ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١٠٩ ، ١٠٣ ، ١٧٥ ، ١٧٣ ، ١٥٦ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٣٥ ، ١١٣ ، ١٠١ . ج ٥ ص ١٨٥ ، ١٨٥ . ج ٦ ص ٥٨ ، ٥٨ ، ٢١٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ . ج ٧ ص ١٠١ ، ١٠١ . ج ٨ ص ٧٣ ، ٧٣ . ج ٩ ص ٦٠ ، ٦٠ . ج ١٠ ص ٩٠ ، ٩٠ . ج ١١ ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٦ . ج ١٢ ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٧ . ج ١٣ ص ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٨ ، ١١٤ . ج ١٤ ص ١٩٢ ، ١٧٧ ، ١٧٧ . ج ١٥ ص ١٣٨ ، ١٣٨ . ج ١٦ ص ١١٦ ، ١١٦ . ج ١٧ ص ١١٧ ، ١١٧ . ج ١٨ ص ١١٨ ، ١١٨ . ج ١٩ ص ١٢٥ ، ١٢٥ . ج ٢٠ ص ٥٢ ، ٥٢ .
- ١٠ - كتاب الامالي لابي عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن ابي يحيى بن المبارك اليزيدي . بيروت ، مكتبة المتنبي ١٩٦٩ ، الصفحات : المقدمة ص ١ ، ٥ ، ٥ ، ٥ ، ٥ ، ٥ .
- ١١ - كتاب الامالي لابي علي اسماعيل بن القاسم القالي ، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٤٣ . الجزء الاول : ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٧ . الجزء الثاني : ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٦ . وكتاب ذيل الامالي والنواير ، ص ١٢٧ ، ١٢٧ .
- ١٢ - الدكتورة هائنة عبدالرحمن - بنت الشاطئ . ترجم سيدات بيت النبوة بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٨ . الصفحات : ٧٧٤ ، ٦٧٦ ، ٧١٣ ، ٧١٣ .
- ١٣ - مقامات العربي : بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥ ، ص ٣٤ ، ٢٩ .

## ثبت الكتاب

الصفحات

الوـــــــــــــقوع

٦ - ٥

كلمة تمهيدية

٣٩ - ٧

الفصل الأول : الجوانب التربوية

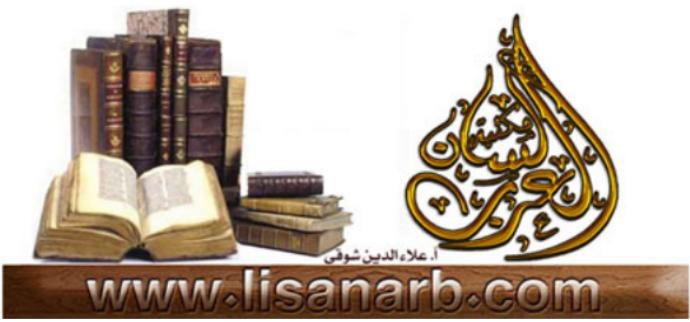
٤٩ - ٤٠

الفصل الثاني : الجوانب النفسية

الفصل الثالث : مواقف اصيلة من التراث ذات مضامين تربوية ٥٠ - ٩٤

٩٦ - ٩٥

اهم مراجع البحث



أ. علاء الدين شوقي

[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)

رقم الابداع في المكتبة الوطنية – بغداد  
١٩٨٢ (١٥٢٢) لسنة

دار الحرية للطباعة - بغداد  
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م